معركة الكرامة

21 مارس 1968

كما تعكسها الوثائق البريطانية

بقلم

د.محسن محمد صالح

دراسة علمية

محكمة، نشرتها:

المجلة العربية

للعلوم الإنسانية،

جامعة الكويت،

السنة 21، العدد 83،

صيف 2003، ص 115-160

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة علمية محكمة

معركة الكرامة ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨
خلفياتها – تطوراتها – نتائجها
كما تعكسها الوثائق البريطانية

بقلم

د. محسن محمد صالح

ينشر مركز الزيتونة هذه الدراسة بموافقة كريمة من المجلة العربية للعلوم الإنسانية بجامعة الكويت

٢٠٢٠

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات – بيروت

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات ١

ملخص ٢

مقدمة ٣

أولاً: الظروف التي أدت إلى المعركة ٤

ثانياً: المعركة ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨ ..... ١٤

ثالثاً: نتائج معركة الكرامة: ٢١

أ. الانعكاسات على العمل الفدائي الفلسطيني ٢٢

ب. الانعكاسات على الأردن ٢٦

ج. الانعكاسات على الكيان الإسرائيلي ٣٢

د. الانعكاسات الدولية ٣٥

خاتمة ٤٠

ABSTRACT ٤١

ملخص

تعدُّ معركة الكرامة (٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨) أحد المفاصل التاريخية لحركة المقاومة الفلسطينية وللتاريخ الفلسطيني المعاصر. إذ شكلت نقلة نوعية للعمل الفدائي الفلسطيني الذي بدأ يعيش عصره الذهبي في الأردن. كما كانت إيذاناً بسيطرة حركة فتح على العمل الوطني الفلسطيني، وعلى قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

ويحاول هذا المقال إلقاء أضواء جديدة على هذه المعركة من خلال دراسة الوثائق البريطانية غير المنشورة المتعلقة بالمعركة، التي سُمح بالاطلاع عليها منذ سنة ١٩٩٨، والمحفوظة في مركز السجل العام Public Record Office، أو ما صار يعرف لاحقاً بالأرشيف الوطني The National Archives في لندن.

وقد كان من الواضح أن تصاعد العمل الفدائي المنطلق من قواعد له في غور الأردن قد دفع الكيان الإسرائيلي إلى القيام بهجوم واسع لتدميرها خصوصاً في منطقة الكرامة. غير أن صمود الفدائيين والجيش الأردني وما بذلوه من تضحيات، قد أدى إلى نتائج معاكسة تماماً لخطط الإسرائيليين. إذ وقعت خسائر كبيرة نسبياً في القوات الإسرائيلية، وانكسرت أسطورتها بأنها تملك جيشاً لا يقهر. كما أدت إلى تصاعد شعبية العمل الفدائي ونفوذه خصوصاً في الأردن. وجعلت الكيان الإسرائيلي في حالة من الحيرة، إذ إن هجماته تزيد العمل الفدائي قوة وشعبية، كما أن سكوته يعطي هذا العمل فرصة للتوسع والتمدد.

معركة الكرامة ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨
خلفياتها – تطوراتها – نتائجها
كما تعكسها الوثائق البريطانية

د. محسن محمد صالح*

مقدمة:

تكتسب معركة الكرامة التي وقعت في ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨ أهمية كبيرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر. إذ تعدُّ نقطة تحوّل باتجاه سيطرة العمل الفدائي الفلسطيني—وخصوصاً حركة فتح—على الساحة السياسية الفلسطينية وعلى منظمة التحرير الفلسطينية. وقد أدت إلى ترسيخ الوجود الفدائي شرقي الأردن وأعطته زخماً شعبياً كبيراً فلسطينياً وعربياً. كما أسهمت في تكريس خيار "حرب العصابات" و"حرب التحرير الشعبية" ضدّ الكيان الصهيوني، بعد هزيمة الجيوش العربية في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ واحتلال الصهاينة للضفة العربية وقطاع غزة والجولان وسيناء.

ويحاول هذا المقال دراسة معركة الكرامة كما تعكسها الوثائق البريطانية غير المنشورة المحفوظة في "مركز السجل العام البريطاني Public Record Office" أو ما صار يعرف لاحقاً بالأرشيف الوطني The National Archives في لندن؛ والتي سُمح بالاطلاع عليها منذ سنة ١٩٩٨. ويُدرك كاتب هذه السطور كثرة ما كتب عن هذه المعركة في المصادر العربية وغيرها، غير أنه يحاول أن يلقي أضواء جديدة من خلال دراسة تلك الوثائق، وهو بُعد يراه مهماً في استكمال الصورة المتعلقة بتلك المعركة ونتائجها. ولذلك فإن محور الدراسة والمعلومات هنا هي الوثائق البريطانية، ويتم اللجوء إلى المصادر الأخرى على سبيل التوضيح أو المقارنة، واستكمالاً للبنية العامة للمقال. وستستفيد هذه الدراسة بالذات من تقارير وبرقيات ورسائل سفراء بريطانيا في عمَّان وتل أبيب إلى الخارجية البريطانية، بالإضافة إلى تقريري الملحقيْن العسكريين البريطانيين في البلدين، فضلاً عن مراسلات أخرى من بيروت وواشنطن، وردود الخارجية البريطانية وتوجيهاتها لسفرائها.

---

* أستاذ الدراسات الفلسطينية، يعمل حالياً مديراً عاماً لمركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، وقد نشرت هذه الدراسة سنة ٢٠٠٣، عندما كان يعمل أستاذاً مشاركاً ورئيساً لقسم التاريخ والحضارة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

أولاً: الظروف التي أدت إلى المعركة:

أدت حرب الأيام الستة في حزيران/ يونيو ١٩٦٧ بين العرب والكيان الإسرائيلي إلى كارثة كبيرة. فقد مُنيت الجيوش العربية المصرية والأردنية والسورية بهزيمة ثقيلة، واحتل الكيان الإسرائيلي بسرعة خاطفة الضفة الغربية التي كانت تحكمها الأردن (٥٨٧٨ كم٢)، وقطاع غزة الواقع تحت الإدارة المصرية (٣٦٣ كم٢)، وبذلك استكمل احتلال باقي فلسطين وفق حدودها الحديثة التي وضعت في أثناء الاستعمار البريطاني. كما احتلت شبه جزيرة سيناء المصرية (٦١١٩٨ كم٢)، والجولان السورية (١١٥٠ كم٢). كما أدت الحرب إلى تشريد ٣٣٠ ألف فلسطيني انتقل أغلبهم إلى شرقي الأردن.[١]

لقد كانت حرب ١٩٦٧ صدمة كبيرة للشعب الفلسطيني والشعوب العربية التي انتظرت بفارغ الصبر طوال ١٩ عاماً (منذ ١٩٤٨) ما كانت تَعِدُ به الأنظمة العربية من القضاء على الكيان الإسرائيلي. ولذلك أضعفت هذه الحرب الثقة بالأنظمة وجيوشها، وسعى الفلسطينيون إلى أخذ زمام المبادرة بأيديهم، وعدم انتظار تحقّق شعارات "الوحدة طريق التحرير" و"قومية المعركة" التي كانت سائدة من قبل، فضلاً عن انحسار الآمال تجاه جمال عبد الناصر لتحقيق الوحدة والتحرير. وتكرست بشكل أكبر الهوية الوطنية الفلسطينية، وتطلعت الأنظار إلى المنظمات الفدائية الفلسطينية كبديل أفضل.

وقد قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" بإعادة ترتيب صفوفها في الضفة الغربية وقطاع غزة، وأعلنت انطلاقتها الثانية في ٢٨ آب/ أغسطس ١٩٦٧ في بيانها الخامس والسبعين.[٢] وحسب مصادر فتح نفسها قام مقاتلوها خلال الفترة المتبقية من عام ١٩٦٧ بـ ٧٩ عملية عسكرية، أدت إلى قتل وجرح ٢١٨ صهيونياً.[٣] وقد أصبحت فتح—في تلك الفترة—العمود الفقري للمقاومة في الوقت الذي أخذت تتشكل فيه منظمات فدائية أخرى شاركت بدرجات متفاوتة في عمليات المقاومة.

ويظهر أن رؤية الفدائيين في الأشهر الأولى التي تلت الاحتلال الإسرائيلي للضفة والقطاع كانت مبنية على إمكانية إنشاء "القواعد الارتكازية" الثابتة والمتحركة في الأرض المحتلة سعياً إلى إيجاد مناطق محررة تكون منطلقاً لإزالة الوجود الإسرائيلي، وهي رؤية حاولت أن تستفيد من تجربة الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ التي نجحت في السيطرة على الريف الفلسطيني والمناطق الجبلية

---

[١] حول حرب ١٩٦٧ ونتائجها، انظر مثلاً: هيثم الكيلاني، **الاستراتيجيات العسكرية للحروب العربية الإسرائيلية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص ٢١٩-٣١٥.

[٢] انظر حول إعادة فتح ترتيب صفوفها بعد حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ في: صلاح خلف، **فلسطيني بلا هوية**، ط ٢ (عمان: دار الجليل، ١٩٩٦)، ص ٨٩-٩٣.

[٣] انظر مقال: "تطور الفكر السياسي الفتحوي (٢٠)،" النشرة المركزية [لحركة فتح]، العدد الثاني، ١٩٩٩، في: www.fateh.net/public/newsletter/310199/index.htm

فترة من الزمن. وقد دفع الفدائيون بنحو ألفٍ من عناصرهم إلى الضفة والقطاع ليقوموا ببناء التنظيم السري والقواعد الارتكازية، وكان على رأسهم زعيم فتح ياسر عرفات الذي تولى إعادة تنظيم المقاومة في الضفة الغربية بنفسه.[٤] ولكن يبدو أن هذه المحاولة لم تنجح في إنشاء أيٍّ من القواعد الثابتة، بالرغم من الجهود المضنية التي بذلها الفدائيون، إذ إن الإجراءات العسكرية والأمنية الصهيونية العنيفة أدت إلى مطاردة مئات الفدائيين، واستشهد ما يزيد عن ستين فدائياً، واعتقل ألفٌ آخرون. وقد أدى هذا إلى توجه الفدائيين إلى إقامة القواعد الثابتة في الضفة الشرقية لنهر الأردن. وأخذت القواعد السرية القليلة التي كانت موجودة شرقي غور الأردن تبرز إلى العلن في مطلع ١٩٦٨، في الوقت الذي أخذ فيه كثير من الفدائيين المطاردين في الضفة الغربية بالانتقال إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن.[٥] وقد أدخل ذلك العلاقة بين الأردن والفدائيين في مرحلة جديدة، كما لفت أنظار الكيان الإسرائيلي لضرب القواعد الفدائية في شرقي الأردن مما صعَّد من احتمالات المواجهة مع الجيش الأردني، والقيام بهجمات انتقامية ضدّ مدن الأردن وقراه، وضدّ بنيته التحتية والاقتصادية.

وقد لاحظ تقريرٌ للمخابرات العسكرية البريطانية في الشرق الأدنى أنه منذ حرب ١٩٦٧ حدثت زيادة كبيرة في أنشطة الفدائيين وفي عدد منظماتهم. وأشار إلى أن معظم العمليات الفدائية كانت تتم قبل الحرب من قطاع غزة وسورية، ويمرُّ الفدائيون أحياناً من لبنان أو الأردن، ولكن كل العمليات ضدّ "إسرائيل" بعد الحرب تمت عبر الأردن، ونتيجة لذلك كانت معظم انتقامات الإسرائيليين موجهة ضدّ الأردن.[٦]

ويؤكد تقرير السفير البريطاني في تل أبيب هادو R.M. Hadow الذي بعثه إلى الخارجية البريطانية حول معركة الكرامة، أن مجموعات فتح حصرت عملها—في الثلاثة أو أربعة أشهر الأولى التي تلت حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧—إلى حدّ كبير في الضفة الغربية. حيث سعى الفدائيون (وهو عادة يستخدم لفظة إرهابيين أو مخربين في الإشارة إلى الفدائيين) لتطوير مقاومة فلسطينية تربك بشكل جاد الحكومة الإسرائيلية. وقال إنهم لم ينجحوا في جهودهم، ورأى أن سبب ذلك يعود بشكل جزئي للإجراءات الإسرائيلية المضادة الفعالة، أما السبب الأكبر فيعود—حسب رأيه—إلى أن الفدائيين فشلوا في اجتذاب الدعم الشعبي الذي أَمِلُوا في تحقيقه. وأضاف أنه مع نهاية عام ١٩٦٧ "قَبِلَ الإرهابيون بالهزيمة في الضفة الغربية، ورجعوا إلى شرق الأردن، حيث يقومون بأعمال تخريب ضدّ إسرائيل...

---

[٤] يزيد صايغ، "التجربة العسكرية الفلسطينية المعاصرة،" في **الموسوعة الفلسطينية**، القسم الثاني: الدراسات الخاصة، ج ٥ (بيروت: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٩٠)، ص ٣٦٨، و٣٨٣.

[٥] المرجع نفسه، ص ٣٦٩، و٣٨٣.

[٦] Report, Arab Guerilla (Fedayeen) Activity against Israel, prepared by Intelligence Staff, Head Quarters (H.Q.), British forces, Near East, Confidential, 1/12/1968, Public Record Office (P.R.O.), Foreign Office (F.O.), FCO 17/689.

خصوصاً في منطقة بيسان، ثم وبشكل أقل في مناطق وادي عربة بين البحر الميت وإيلات".[٧] ولسنا بصدد مناقشة رأي هادو في أن الفدائيين فشلوا في اجتذاب الدعم الشعبي، وافتقار رأيه هذا إلى الموضوعية؛ ولكننا نلاحظ أن كلا المصادر العربية والبريطانية تتفق على أن محور تركيز العمل الفدائي في الأشهر الأولى التي تلت حرب ١٩٦٧ كان الضفة الغربية والقطاع، وأن هذا المحور قد اتخذ من الأردن قاعدة ارتكاز علنية منذ مطلع ١٩٦٨، وأن الأردن كانت—في كلا الفترتين—مركز العبور الأساسي للداخل الفلسطيني.

وبينما كان الكيان الإسرائيلي يطارد العمل الفدائي في الضفة الغربية والقطاع فإنه كان ينظر بقلق إلى نمو وتجذّر قواعد الفدائيين في شرقي الأردن، وإلى الدعم الشعبي الذي يلقاه، بل وتغاضي أو دعم عناصر من الجيش الأردني للفدائيين، فضلاً عن دعم وحدات الجيش العراقي المتمركزة في الأردن. وقد أشار هادو في تقريره إلى أنه قد تجمعت لدى الإسرائيليين معلومات عن "إنشاء قوة إرهابية كبيرة في شرق الأردن، وعن تواطئ سريٍّ فعال معها، من قِبَل الجيش الأردني، على الأقل على مستوى الرتب الأدنى".[٨] وقد أشارت برقيتان من السفارة البريطانية في تل أبيب إلى الخارجية البريطانية في ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧ إلى سعادة الإسرائيليين بالقضاء على ما أسموه "عصابة فتح في القدس" حيث تم القبض على ٢٤ فدائياً، وأن التحقيقات معهم تُظهر أنهم تلقوا مساعدات من الجيش الأردني في أخذ معداتهم إلى نهر الأردن إعداداً لاجتيازه نحو الضفة الغربية. وتضيف أن الإسرائيليين يزعمون أن الفدائيين الذين نفذوا عملية ١١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧ استفادوا من غطاء ناري أردني في أثناء انسحابهم إلى شرق الأردن.[٩] كما أشارت برقية أخرى في ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ إلى تمكّن السلطات الإسرائيلية من القبض على "قائد فتح" فيصل الحسيني الذي كان قد تسلّل قبل ثلاثة أسابيع إلى القدس.[١٠] كما ذكرت إحدى الوثائق نقلاً عن "راديو إسرائيل" أن موشيه كشتى Moshe Kashti، مدير وزارة الدفاع الإسرائيلية، أعلن في ٤ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧ أنه منذ حرب الأيام الستة (حزيران/ يونيو ١٩٦٧) فإن قوات الأمن الإسرائيلية قبضت على ٣٠٠ فدائي وقتلت ٦٠ آخرين.[١١]

---

[٧] Report, The Karama Raid, R.M. Hadow, Tel Aviv to Mr. Stewart, F.O., London, Confidential, 28/3/1968, FCO 17/633. (Hereafter referred to as Hadow Report on the Karama Raid).

ملاحظة: إن كل المراسلات التي أرسلها هادو أُرسلت من تل أبيب، وكل المراسلات التي تذهب إلى الخارجية F.O تذهب إلى لندن، وقد اكتفينا بالإشارة للمكان في المرة الأولى فقط.

[٨] Ibid.

[٩] Telegram (Tel.) no. 1115, British Embassy (B.E.), Tel Aviv to F.O., 13/10/1967, FCO 17/467, and Tel. no. 1116, B.E., Tel Aviv to F.O., confidential, 13/10/1967, FCO 17/467.

[١٠] Tel., B.E., Tel Aviv to F.O., 3/11/1967, FCO 17/467.

[١١] See FCO 17/467.

وأضاف هادو في تقريره أن صفوف ما أسماه "الإرهابيين" استوعبت أعداداً كبيرة من الشباب الفلسطيني من البلاد العربية الذين تدربوا في سورية ومصر والجزائر، وممن تلقوا تعليماً عالياً، ودوافعهم أيديولوجية بشكل أكبر مما أسماه "طراز المرتزقة القديم". وقال إنَّ الإسرائيليين يدّعون أن هؤلاء مسلحون تسليحاً جيداً، ويلبسون ملابس التمويه الحربية، ويظهرون بشكل علني في عمَّان وغيرها. وأنهم لم يعودوا يستخدمون الأردن فقط كممر للهجوم على "إسرائيل" أو كملجأ أو مكان للراحة بعد العمليات. فلقد نقلوا ثقل منظمتهم الرئيسي إلى وادي الأردن، وأنشأوا قواعد ومراكز للتدريب، كما يُعتقد أن قيادتهم موجودة هناك. وقال إن الجيش الأردني لم يقنع بتوفير تغطية نارية للفدائيين ليساعدهم على العودة بعد اكتمال مهامهم، وإنما ظهر أنه يقصف المستعمرات الحدودية وخصوصاً منطقة بيسان.[١٢]

ويحاول السفير البريطاني في عمّان توضيح مسألة التعاون بين الفدائيين والجيش الأردني في تلك الفترة، فيؤكد أن دعم الجيش الأردني للفدائيين هو أقل بكثير من ذلك الذي تزودهم به وحدات الجيش العراقي المتواجدة في الأردن، وأنه يُعتقد بشكل عام أنه غير مقبول وسط الضباط من رتبة عقيد فأعلى، وأنه في كل الأحوال مخالف لأوامر الملك حسين والقيادة العامة. ولكن الضباط الصغار عُرفوا بتقديمهم المساعدة على شكل استخدام سيارات الإسعاف ووسائل المواصلات باتجاه طريق الشمال – الجنوب في وادي الأردن، وعلى شكل مرافقة الفدائيين. أما ما وراء هذا الطريق (غرباً) فإن الفدائيين يعملون بأنفسهم، ويوفر الجيش الأردني أحياناً مواصلات وسيارات إسعاف لاستقبال الفدائيين العائدين، كما يوفر عادة تغطية نارية للمجموعة المنسحبة.[١٣] وقد أكد مشهور حديثة الجازي، قائد الفرقة الأردنية التي كانت ترابط في منطقة الغور، أنه كان من سياسته دعم العناصر الفدائية، بل والمبادرة أحياناً بقصف المواقع الإسرائيلية في الضفة الأخرى من النهر.[١٤]

---

[١٢] Hadow Report on the Karama Raid.

[١٣] Despatch, The Fedayeen in Jordan, P.G.D. Adams (British Ambassador to Amman), Amman to Stewart, F.O., Confidential, 26/9/1968, FCO 17/222.

ملاحظة: إن كل المراسلات التي أرسلها آدمز أرسلها من عمان، وقد اكتفينا بالإشارة لذلك في المرة الأولى فقط.

[١٤] مشهور حديثة الحجازي، مقابلة مع أحمد منصور، برنامج شاهد على العصر، الحلقة الخامسة، قناة **الجزيرة**، قطر، ١ تموز/ يوليو ١٩٩٩.

ومهما يكن من أمر، فإنه يبدو لنا من مجمل دراسة المصادر والوثائق أن دعم الفدائيين عسكرياً ولوجستياً لم يكن سياسة رسمية للحكومة الأردنية قبل معركة الكرامة، وإنما اجتهاداً شخصياً من الضباط والجنود في مناطق الغور في أجواء كان يسودها الشعور بالمهانة من هزيمة ١٩٦٧ والاستياء من الواقع العربي، والحماسة لعمل شيء ما دعماً للعمل الفدائي ضدّ الكيان الإسرائيلي. وقد حاولت السلطات الأردنية ضبط الأمور، لكن المشاعر الشعبية العارمة كانت تحول دائماً دون دقة التنفيذ. وقد أشار السفير البريطاني في عمّان آدمز Adams إلى هذا المعنى في برقية له إلى الخارجية في ٩ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧، وأضاف أن تقدير البريطانيين والأمريكان والفرنسيين [أي بعثاتهم الديبلوماسية في عمّان] أن الأردنيين يقومون بجهود مضنية لمنع تصاعد الأعمال الفدائية من الضفة الشرقية. وأنهم مستمرون في تطويق العناصر غير المرغوبة، وأنهم على سبيل المثال وضعوا "مجموعة مشبوهة" من اللاجئين تحت الحجز في معسكر في الكرامة. وقال إن السلطات الأردنية تعلم أن هذا الإجراء سوف لن يكون كافياً لإرضاء الإسرائيليين، ولكنها تشير إلى أنه على الإسرائيليين أن يفهموا الصعوبات التي تواجهها تلك السلطات، وخصوصاً عجزها الظاهر عن منع تسلل الفدائيين إلى الضفة الغربية. وحذَّر السفير البريطاني من أيّ هجوم إسرائيلي على الأردن في الوقت الذي تقوم فيه السلطات "بمحاولة تهدئة الأمور في ظروف صعبة جداً، وتضغط بقوة باتجاه تسوية في الأمم المتحدة". وقال إن ذلك الهجوم سيكون "غير مبرر بالمرَّة"، وربما يفسر باعتباره عملاً إسرائيلياً محسوباً لإفشال احتمالات التوصُّل إلى حلٍّ سلمي من خلال الأمم المتحدة.[١٥]

وقد استبعد السفير البريطاني في تل أبيب ألا تتخذ "إسرائيل" إجراءاً انتقامياً في ظلّ تصاعد العمل الفدائي، وقال في برقية له إلى الخارجية البريطانية في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ تعليقاً على إحدى العمليات الفدائية إن هذه العملية هي الثانية والعشرين في منطقة بيسان منذ الأول من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧، وإنها قد أثارت تعليقات صحفية كثيرة، واضعة اللوم بالكامل على الأردن ومهدِّدة بالانتقام...، وقال السفير إنه إذا ما استمرت هذه العمليات ضدّ أهداف مدنية، وقادت إلى خسائر في الأرواح، فإن الحكومة الإسرائيلية—حسب تقديره—ستجد من الصعوبة بمكان تجنب اتخاذ إجراء انتقامي تجاوباً مع تصاعد الضغط الشعبي. وقال "لعلَّ الإسرائيليين سيفكِّرون جيّداً قبل القيام بعمل عبر الحدود لأنهم سيدخلون—على الأرجح—في قتال ضدّ مواقع أردنية مستعدة، كما قد يكون لذلك أصداء دولية ضارة بهم في الأمم المتحدة... . وإنهم—على الأرجح—سيستخدمون قوات الطيران

[١٥] Tel. no. 1167, Adams, Amman to F.O., Confidential, 9/10/1967, FCO 17/467.

الإسرائيلية للقيام بمهام واضحة سريعة لضرب أهداف محددة بعناية مثل قواعد فتح". وقد استبعد السفير البريطاني احتمال اتخاذ "إسرائيل" إجراءات اقتصادية ضدّ الأردن، مثل قطع المياه عن منطقة شرقي الغور، لأن ذلك سيؤدي إلى إدانتهم دولياً، كما إنه لن يعالج جذور المشكلة، ولن يكون انتقاماً كافياً من الهجمات الفدائية. كما استبعد إغلاق "إسرائيل" لمضائق تيران في وجه السفن المتوجهة إلى ميناء العقبة، "لأن هذا يضعهم فيما وضع عبد الناصر به نفسه في ٢٣ أيار/ مايو ١٩٦٧".[١٦]

ويبدو أن العامل الحاسم لدى الإسرائيليين بشأن هجومهم على الأردن كان هو نجاح السلطات الأردنية في منع العمليات الفدائية والاختراقات الحدودية، وليس حجم الجهد الذي تبذله في ذلك، بمعنى أنهم يحاسبون على النتائج قبل أي شيء آخر.

وتظهر المصادر الفلسطينية أن السلطات الأردنية بذلت جهداً كبيراً للسيطرة على الأمور. وقد اشتكى بيان لحركة فتح في ٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٧ بمرارة مما أسماه ملاحقة المخابرات الأردنية لعناصرها وسجنهم واضطهادهم.[١٧] وذكرت النشرة المركزية لحركة فتح أن الدبابات الأردنية حاولت في ٨ شباط/ فبراير ١٩٦٨ السيطرة على منطقة الكرامة لإنهاء وجود الفدائيين، ولكن حسب تعبير النشرة فإن "اندفاع الجماهير برجالها ونسائها وأطفالها حال دون تمكين هذه الدبابات من العبور، وشكَّل الناس في الكرامة سدّاً بشرياً أحاط بالدبابات ومنع تقدمها".[١٨]

---

[١٦] Tel. no. 1227, Hadow to F.O., Immediate, Confidential, 6/11/1967, FCO 17/467.

ولم يحدد هادو تفصيلات العملية الفدائية، ولكن من خلال مراجعتنا للوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٧، وجدنا بياناً لفتح في ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ يشير إلى أن الكيان الإسرائيلي رفع في ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر شكوى إلى الأمم المتحدة، متهماً حركة فتح بعدد من العمليات... وأن فتح مصرَّة على استمرار عملياتها. كما صدر لفتح بلاغ عسكري رقم ٨٠ بتاريخ ٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ ونشرته الرأي العام الكويتية في ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧، ويتحدث عن عدد من العمليات، كان أحدها انفجار لغم في بيسان ليلة ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر تحت شاحنة عسكرية، فقتل أربعة من ركابها وجرح الباقين ودمَّر الشاحنة، ولعل هذه هي العملية التي يقصدها السفير "هادو". انظر: **الوثائق الفلسطينية العربية لعام ١٩٦٧**، جمع وتصنيف جورج خوري نصر الله، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية – ٣ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الخرطوم، ١٩٦٩)، ص ٧٨٧–٧٨٩.

[١٧] انظر: **الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٧**، ص٧٩٧–٧٩٩.

[١٨] انظر: "تطور الفكر السياسي الفتحوي (٢٠)،" النشرة المركزية، العدد الثاني، ١٩٩٩.

ولكن، مع تمكُّن العمل الفدائي الفلسطيني منذ مطلع ١٩٦٨ من نقل ثقله الرئيسي إلى شرقي الأردن وتصاعد العمل الفدائي عبر الحدود أخذت ردود الفعل الإسرائيلية أشكالاً أعنف. وفي الفترة ٨–١٥ شباط/ فبراير ١٩٦٨ قامت القوات الإسرائيلية بقصف عنيف، استمر أسبوعاً، واستهدف مناطق واسعة في غور الأردن، شملت مواقع الجيش الأردني ومعظم قرى المواجهة الشمالية ومخيمات اللاجئين، وخصوصاً مخيم الكرامة. وكان يوم ١٥ شباط/ فبراير هو الأعنف حيث استخدمت القوات الإسرائيلية الطائرات والمدفعية والدبابات في قصفها، مما أدى لاستشهاد سبعة جنود أردنيين بينهم ضابط برتبة رائد وجرح ٢٧ جندياً آخرين بينهم ضابطان، واستشهد من المدنيين ١٣ وجرح ٣١.[١٩] وقد أشار السفير البريطاني في تل أبيب إلى تلك الهجمات الإسرائيلية، وقال إن الملك حسين قدم تأكيدات للبريطانيين والأمريكيين في الخريف والشتاء الماضيين أنه يعمل كل ما يستطيع لكبح فتح. ولذلك، فعلى حدّ تعبير السفير، فقد شعر "الإسرائيليون الطيّبون" Charitable Israelis (أي الذين يميلون للرفق في الحكم على الآخرين) أنه "يتم تضليله من قبل موظفيه، وأنه سيكون من الأفضل له أن يقضي وقتاً أكبر في البلد بدلاً من أن يلف العالم صانعاً حالة معادية لإسرائيل". وعلى أي مستوى "فقد أدرك الإسرائيليون مع بداية هذا العام أن أسنان التنين قد تناثرت بسبب ضعف العزيمة، وأن فتح قد أصبحت قوية وكبيرة جداً في الأردن، لدرجة أنه يكاد يكون من المستحيل على الملك أن يتدبّر أمرها". وأضاف إن الملك حسين قد جدّد محاولاته، من خلال قنوات مختلفة بما فيها بريطانيا، لإخبار الإسرائيليين أنه يفعل ما بوسعه للسيطرة على الفدائيين، وأنه أعطى تعليمات مشدَّدة لقواته بوقف إطلاق النار. ولكن الإسرائيليين لم يعودوا يصدِّقونه، إذ استمر إطلاق النار عبر الحدود، وتعمَّد الإسرائيليون تصعيد الوضع في ١٥ شباط/ فبراير بهدف الإظهار للأردنيين أنَّ عليهم أن يتوقعوا أن "يحصلوا على أكثر مما أعطوا" إذا لم يحفظوا الحدود هادئة.[٢٠]

وحسب السفير البريطاني في تل أبيب فإن تصريحات الملك حسين التي أعقبت هجمات ١٥ شباط/ فبراير، والتي رفضت أساليب الفدائيين كوسيلة لاستعادة الأراضي العربية المحتلة، قد رحبت بها "إسرائيل" على أساس أن تلك الهجمات قد حققت أثرها المطلوب. وأضاف هادو إن "خيبة الإسرائيليين كانت كبيرة عندما لم يُلزم رئيس الوزراء نفسه بهذا الرأي، وأجبر الملك على التراجع". وعلى حدِّ تعبير

---

[١٩] انظر: المرجع نفسه؛ وبرهان الدجاني وآخرون (محررون)، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، سلسلة الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية رقم ٥ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧١)، ص ١١٤–١١٥.

[٢٠] Hadow Report on the Karama Raid.

هادو فإن هذا "كان دليلاً نهائياً بالنسبة للإسرائيليين على أن سلطة الملك أصبحت جوفاء، ويظهر أن هذا أقنع الإسرائيليين أنهم لم يعودوا ينتظرون من الحكومة الأردنية أن تحافظ على السيطرة على الوضع...".[٢١]

وقد علَّق السفير البريطاني في عمّان آدمز على ما ظهر من تضارب في التصريحات بين الملك ورئيس حكومته، أن رئيس الوزراء بهجت التلهوني ومعظم رفاقه في الحكومة مهتمون بألاَّ يبتعدوا عن تيار الرأي العام. وحسب رأي آدمز فإن الملك حسين "تحدَّث على نحو مُتسرّع rashly ضدّ عمليات الفدائيين عبر الأردن بعد الهجوم الإسرائيلي في ١٥ شباط/ فبراير"، وبدا مؤخراً أن عليه أن يأخذ موقفاً أكثر استرضاء. وقال آدمز إنه شخصياً لا يرى أن الملك ورئيس وزرائه قد وصلا من قبل إلى مثل هذه الدرجة من الاختلاف الحاد حول هذا الأمر، كما توحي بعض التقارير. ويرى آدمز أن رئيس الوزراء لديه فكرة أوضح حول درجة الأهمية في التحدث بحكمة للجمهور، ولهذا السبب سارع بتلطيف الكثير مما قاله الملك.[٢٢]

وعلى أيّ حال، فقد اتفق السفيران البريطانيان في تل أبيب وعمّان أن هجمات ١٥ شباط/ فبراير لم تحقق أهدافها، بل كان لها نتائج عكسية، إذ ازدادت فتح والعمل الفدائي قوة وشعبية، وأضعفت من إمكانات سيطرة السلطات الأردنية عليه. وبالرغم من أن القصف الإسرائيلي أجبر سكان مخيمات الطوارئ السبعة (التي أنشئت في الغور لاستيعاب اللاجئين إثر حرب ١٩٦٧) إلى الانتقال إلى مخيمات ومناطق جديدة أكثر أمناً كالبقعة وزيزيا وسوف وشنلّر، مما أفقد الفدائيين غطاءهم الشعبي

---

[٢١] Ibid.

وتشير المصادر العربية إلى أن الملك حسين وجَّه في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٦٨ رسالة إلى الشعب ألقاها وزير الإعلام جاء فيها "إن كل عمل مخلص هادف ينبغي أن ينطلق من أرضنا هذه، ومن خلالنا نحن، وفي إطار ما نرسم ونخطط ونعدُّ... إن أيّ جهة تتجاهل هذا الموقف منا بعد اليوم، وتتخذ لنفسها منهجاً غير منهجنا، وتتعامى عن بابنا الذي كان وسيظل مفتوحاً لكل متطلع إلى المعركة بشوق وإخلاص، هي ليست منا ولسنا منها". وفي اليوم التالي صرح وزير الداخلية حسن الكايد أن حكومته ستعاقب بشدة جميع الذين يعطون العدو مبرراً للهجوم على الأردن. ولكن رئيس الوزراء بهجت التلهوني صرَّح في ١٩ شباط/ فبراير أن الأردن مستمر بوفائه للالتزامات المترتبة عليه نحو قضية فلسطين، وأن الحكومة لم تتطرق من قريب أو بعيد للأمور التي وردت في تصريح الكايد. كما أصدرت فتح بياناً في ٢٠ شباط/ فبراير أنها "لن تسمح بأية حال لأيّ إنسان أو حاكم عربي أن ينحرف بها عن أهدافها، ويزجّ بها في معارك جانبية. وتؤكد أنها لن تلقي السلاح تحت أي تهديد أو وعيد". كما طالبت السلطات الأردنية بالإفراج عن معتقليها. انظر: **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، ص ١١٥-١١٦.

[٢٢] Despatch, The Fedayeen, by Adams to A.R. Moore, F.O., Confidential, 2/4/1968, FCO 17/222.

ملاحظة: تحمل لفظة rashly معنى أقرب إلى التهوّر، وقد اخترنا لفظة متسرع لأنها أقرب إلى الخطاب الديبلوماسي.

في الأغوار، إلا أن ذلك حسب تعبير آدمز، السفير البريطاني في عمّان، قد "سهل عليهم السيطرة فعلاً على مساحات واسعة من الغور".[٢٣]

وقد لوحظ أن لهجة الملك تجاه الفدائيين قد أصبحت بعد ذلك أكثر ليونة—بل وتحمل تشجيعاً ضمنياً—ففي ٢٧ شباط/ فبراير ١٩٦٨ قال إنه معجبٌ بأعمال الفدائيين، ولكنه يريد التنسيق ضمن خطة عمل كبيرة.[٢٤] وفي ١٣ آذار/ مارس ١٩٦٨ أعلن أن حكومته لن تفرط بذرة واحدة من تراب الوطن "مهما كلفنا ذلك من تضحيات". ووصف الأردن في حديثه للتلفزيون اللبناني بأنها "بلد الفدائيين".[٢٥]

وهكذا، فقد بدا للكيان الصهيوني أن يأخذ زمام الأمور بيده، وأن يبادر بنفسه في القضاء على القواعد الفدائية شرقي الأردن. وفي الوقت الذي كانت تتعثر فيه مهمة د. يارنج Yarring، مبعوث الأمم المتحدة، للوصول إلى حلّ لتسوية سلمية مع الكيان الإسرائيلي، كان عدد "الصقور" الإسرائيليين في ازدياد، وكان هؤلاء يرون أن على "إسرائيل" أن ترفض من موقع القوة أن يحدّد العرب كيف ستسير الأمور بانتظار تحقيق تسوية سلمية. ويرى هؤلاء "الصقور" أن العرب بحاجة إلى درس عنيف آخر، لعله يجبرهم على الذهاب إلى طاولة المفاوضات. وأخذت تتطور فلسفة إسرائيلية جديدة في الشهرين السابقين لمعركة الكرامة، حددها وزير خارجيتها أبا إيبان في خطابه في ٥ آذار/ مارس ١٩٦٨ أن "إسرائيل" لن ترضى أن يظل العرب "يستمتعون" بحالة اللا حرب واللا سلم بحيث يستمر "الإرهابيون" في مضايقة "إسرائيل" بلا نهاية، وأن "إسرائيل" سوف تتبنى سياسة خارجية نشطة لإقناع الغرب أن لديهم خياراً بسيطاً "إما سلام كامل، وإما حرب شاملة، وليس بينهما شيء آخر".[٢٦]

وقد وجد الكيان الإسرائيلي في عملية تفجير باص يقلُّ طلاباً من مدرسة هرتزليا مشجباً يعلّق عليه هجومه. فقد انفجر لغم أرضي في ١٨ آذار/ مارس ١٩٦٨ في ذلك الباص على الطريق قرب بير أورا نحو ٣٠ كيلومتراً إلى الشمال من إيلات. وقد قتل رجلان مرافقان وأصيب ٢٨ طالباً بجروح بينهم ٨ بجروح بالغة. وكان هذا هو الهجوم الـ ٣٦ الذي يُنسب إلى فدائيين قادمين من شرق الأردن منذ منتصف شباط/ فبراير ١٩٦٨.[٢٧] وفي الحقيقة، فإن التصريحات الإسرائيلية وتحركات القوات

---

[٢٣] Tel. no. 439, Hadow to F.O., Secret, Priority, 29/3/1968, FCO 17/635, and Despatch, The Fedayeen, by Adams to A.R. Moore, F.O., Confidential, 2/4/1968, FCO 17/222.

[٢٤] **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، ص ١١٧.

[٢٥] **المرجع نفسه**، ص ١١٨.

[٢٦] Hadow Report on the Karama raid.

[٢٧] Ibid.; and Tel. no. 375, B.E., Tel Aviv to F.O., Immediate, 21/3/1968, FCO 17/633.

العسكرية كانت تشير إلى استعدادات مبكرة لهجوم واسع على شرقي الأردن. وقد أوضح هادو في برقيته العاجلة يوم الهجوم الإسرائيلي على الكرامة أن الهجوم ليس انتقاماً لحادث باص المدرسة، وليس مجرد عمل استنزافي، رغبة في إعطاء العرب درساً. وإنما يظهر أنه موجه أساساً لتدمير الفدائيين وقواعدهم في الأردن، على افتراض أن الملك حسين "غير راغب أو غير قادر على عمل ذلك بنفسه". وأشار إلى أن هذه العملية قد جرى التحضير لها قبل بضعة أيام، بعدما تلقوا معلوماتٍ قادتْهم إلى توقُّع موجة جديدة من العمليات الفدائية. وإن هدفهم كان التخلص من الحجم الكبير للفدائيين، و"ضرب منظمتهم ضربة تشلُّها، بحيث لا تتعافى منها إلا بعد زمن طويل، هذا إن تعافت منها أصلاً".[٢٨] وقد نقل السفير البريطاني في عمّان معلومات ذكرها زميله (السفير) الأمريكي، نقلاً عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية الذي التقاه ١٩ آذار/ مارس ١٩٦٨، والتي أخبره فيها المدير حول تحركات إسرائيلية عسكرية جنوبي بحيرة طبرية، وفي مناطق مسادا وشعار هاجولا Sha'ar Hagola، وكنيرت Kinnert، وبيسان، وأشدوت يعقوب Ashdot Ya'aqov.[٢٩] كما نقل السفير البريطاني في تل أبيب هادو عن مصادر أمريكية معلومات تشير إلى تزايد تجمع القوات الإسرائيلية في نقاط مختلفة على طول نهر الأردن. وذكر هادو أن كارمون Carmon، نائب مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية، قد أخبر الملحق العسكري البريطاني أن الإسرائيليين علموا أن الملك حسين ذهب لرؤية التلهوني في بيته في ٢٠ آذار/ مارس، و"هم يفترضون أن الملك كان يحاول إقالته". ويعرف الإسرائيليون أيضاً أن هناك أكثر من ألف من عناصر فتح في الأردن. ونقل عن كارمون قوله إنهم مستعدون للانتظار لمدة قصيرة لرؤية ماذا يمكن أن يحقق الملك في سعيه لاستعادة السيطرة بشكل جيد. وأنه "إذا فشل في وضع الأمر تحت السيطرة، فإن الإسرائيليين سيشعرون أنهم مجبرون لاتخاذ الإجراء بأنفسهم". وقال هادو إنه يمكن أن يستخلص من ملاحظات كارمون، ومن خلال التحركات العسكرية العلنية، أن "إسرائيل" مصممة على الضغط على الأردنيين، وأنه "ما لم يتخذ الملك إجراء فعالاً لضبط إرهابي فتح، أو إذا ما حاول ذلك لكنه لم ينجح، وتمت الإطاحة به overthrown فإن القوات الإسرائيلية جاهزة للتحرك".[٣٠]

وقد قام نائب رئيس الوزراء الأردني وزير الدولة للشؤون الخارجية باستدعاء سفراء بريطانيا وفرنسا وروسيا وتحدث معهم عن الوضع. وذكر السفير البريطاني في برقية أرسلها في ٢٠ آذار/ مارس ١٩٦٨ حول الاجتماع أن الوزير أخبرهم أن المخابرات الأردنية تتلقى معلومات منذ ١١ آذار/ مارس

---

[٢٨] Tel. no. 377, Hadow to F.O., Immediate, Confidential, 21/3/1968, FCO 17/633.

[٢٩] Tel. no. 216, Adams to F.O., Immediate, Confidential, 20/3/1968, FCO 17/633.

[٣٠] Tel. no. 369, Hadow to F.O., Immediate, Confidential, 20/3/1968, FCO 17/633.

عن استعدادات إسرائيلية لهجوم كبير على الأردن، وأن القوات الأردنية مدعومة بالقوات العراقية وضعت في حالة تأهب. وقد طلب الأردنيون من الحكومة البريطانية استخدام نفوذها في كبح الإسرائيليين عن الهجوم. وذكر السفير البريطاني أنه طلب من المسؤول الأردني وضع القوات الأردنية على الحدود تحت أقصى درجات الضبط، وردّ الوزير بأن هذا هو الحاصل فعلاً، وأن الملك حسين يتابع بنفسه ضبط الوضع وجعله تحت السيطرة، وأن الأردنيين لن يتسببوا بأي تصعيد.[٣١]

وعلى هذا، فإن الاستعدادات الإسرائيلية للهجوم كانت تتم بصورة شبه علنية، ولم يكن هذا الهجوم مفاجئاً لأحد، وإن لم تتضح تماماً طبيعته وتفصيلاته. وقد تأكد من خلال التهديدات التي أطلقها كل من رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزير الدفاع ورئيس الأركان ورئيس المخابرات. كما أصبحت خبراً عاماً بإعلان مندوب الأردن في الأمم المتحدة، وكذلك بتصريح ناطق باسم فتح في ١٩ آذار/ مارس ١٩٦٧ أن "إسرائيل" تحشد قواتها على طول نهر الأردن.[٣٢]

ثانياً: المعركة ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨:

أدلى رئيس الوزراء الإسرائيلي ليفي اشكول Levi Eshkol ببيان رسمي في الكنيست في ٢٠ آذار/ مارس ١٩٦٨ أعلن فيه عن الهجوم الإسرائيلي، وتحدث فيه عن مبرراته. وقال إنه منذ ١٥ شباط/ فبراير وحتى ليلة أمس (٢٠ آذار/ مارس ١٩٦٨) قام الفدائيون بـ ٣٧ عملية، وتحدث عن اللغم الذي انفجر بطلاب مدرسة. وقال إن الحكومة الأردنية لم تتخذ إجراء لمنع ما أسماه الأعمال الإرهابية، وأن قواعد الفدائيين معروفة تماماً للحكومة الأردنية، وأن أعضاء من هذه "العصابات" يظهرون في البلدات والقرى ويلبسون زيهم الرسمي وبيدهم الأسلحة، بل ويدعون ممثلي الصحافة الأجنبية ليعرضوا عليهم تدريبهم وأنشطتهم. وأنه بناء على معلومات من "مصادر عليا مسؤولة" فإن موجة جديدة مما سمَّاه "الإرهاب" كانت ستنفذ. وأضاف أن الاتصالات السياسية لم توقف القتل، ولذلك "لم يكن أمامنا خيار سوى الدفاع عن النفس... وإن الحكومة أمرت الجيش بالهجوم ضدّ الإرهابيين، وإن ذلك بدأ الساعة ٥:٤٥ صباحاً".[٣٣]

---

[٣١] Tel. no. 218, Adams, Amman to F.O., Confidential, 20/3/1968, FCO 17/633.

[٣٢] انظر: **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، ص ١١٨-١١٩.

[٣٣] Tel. No., B.E., Tel Aviv to F.O., Immediate, 21/3/1968, FCO 17/633.

إن أهم الوثائق البريطانية المتعلقة بمجريات المعركة جاءت بالذات في تقرير الملحق العسكري في السفارة البريطانية في عمّان العقيد ويستون سيمنز J.F. Weston Simons الذي رفعه مباشرة إلى وزارة الدفاع في لندن، وهو مكون من تسع صفحات.[٣٤] أما الوثيقة الثانية فهي تقرير الملحق العسكري في السفارة البريطانية في تل أبيب الذي رفعه إلى السفير البريطاني في تل أبيب، ثم قام السفير البريطاني بإرساله ملحقاً لتقريره عن معركة الكرامة، وهي مكونة من ثلاث صفحات.[٣٥] وربما كان السبب في أن الوثيقة الأولى رفعت إلى وزارة الدفاع مباشرة (دون أن تكون مجرد ملحق لرسالة السفير) هو أن الأردن نفسه كان ميدان المعركة، وبالتالي اكتسب تقرير الملحق العسكري فيها أهمية أكبر، وجاء مفصلاً، وأرسلت نسخ منه إلى كل الجهات المعنية في بريطانيا.

يقول الملحق العسكري البريطاني في عمّان إنه أعد تقريره بناء على معلومات شهود عيان بريطانيين وكنديين، وبناء على جولته في شمال البحر الميت، فضلاً عن ملخص عن المعركة استمع إليه من مدير المخابرات العسكرية الأردنية مساء ٢٢ آذار/ مارس ١٩٦٨. وهذا يعطي أهمية خاصة لتقريره، أما زميله الملحق العسكري البريطاني في تل أبيب فلا يشير إلى أيٍّ من مصادره. وقد اتفق الاثنان في تقريريهما أن هدف العملية المعلن هو القضاء على قواعد فتح وقيادتها في شرق الأردن، وأن المنطقة المستهدفة بالذات هي منطقة الكرامة حيث القاعدة الرئيسية لحركة فتح. كما استهدفت قواعد ثانوية لفتح جنوبي البحر الميت في الصافي وفيفا وخنزيرة.

وقال العقيد سيمنز (الملحق العسكري في عمّان) إن مدير المخابرات العسكرية الأردنية قدَّر القوات الإسرائيلية المهاجمة بلواء من ثلاث كتائب دبابات، ولواء مشاة محمول على عربات نقل، وكتيبة مغاوير (كوماندوز) مظلات، مع لواء احتياط مدرع. وعلى ذلك فإن تقدير القوة المهاجمة يكون ٤٥٠٠ جندي. وعلق على ذلك بأنه بناء على الاستطلاعات البريطانية فإن تقدير القوات الإسرائيلية المهاجمة كان بحدود ١١٠٠ جندي (لكنه لم يشر إلى التعزيزات التي جاءت في الساعات التالية، ولا إلى عدد القوات التي هاجمت مناطق جنوب البحر الميت). أما زميله الملحق العسكري في تل أبيب فيقدر العدد بنحو ألفين، وأن الهجوم الرئيسي على الكرامة نفذه لواء واحد.[٣٦]

---

[٣٤] Report on Operations in Karama and Safi Areas on 21 March 1968, by Colonel J.F. Weston-Simons, Defence attache to the British Embassy, Amman to the Ministry of Defence, D14, London, Secret, 24/3/1968, FCO 17/633. (Hereafter referred to as Simons Report).

[٣٥] Despatch no. 2, Operations Across the Jordan by Israel forces on 21 March 1968, by [H. Rofus] Defence & Military Attache, British Embassy, Tel Aviv, to R.M. Hadow, FCO 17/633. (Hereafter referred to as Report of the British Defence Attache in Tel Aviv).

[٣٦] Simons Report.

وأضاف سيمنز أن الهجوم الذي استهدف منطقة الكرامة قد بدأ الساعة ٥:٣٠ صباحاً باجتياز سرية مدرعات لجسر اللنبي (جسر الملك حسين) ولكن المقاومة أوقفت تقدمها بعد مسيرة ٢٠٠ متر فقط. وبعد ساعة (٦:٣٠) اجتازت سرية إسرائيلية جسر دامية، كما أنزلت أربع طائرات مروحية مشاة في منطقة الكرامة، كما تمّ في الوقت نفسه (٦:٣٠-٧:٠٠) تعزيز السرية المتوقفة عند جسر اللنبي، وأخذت تتقدم باتجاه الشونة في الوقت الذي كانت تتعرض فيه لمقاومة أردنية مدعومة بدبابات متخندقة إلى الغرب من غور نمرين. ونقل عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية أن سريَّة قطعت منطقة جسر الأمير عبد الله. وقال سيمنز إن الطيران بدأ غاراته في ٧:٥٠ صباحاً. وفي منطقة الكفرين والشونة اشتبكت القوات الإسرائيلية المشاة والمدرعة بالدبابات والمشاة الأردنية التي استخدمت أسلحة مضادة للدروع (عيار ١٠٦ مم) متخندقة ومدعومة بالمدفعية الأردنية. وفي منطقة الكرامة ظهر أن القوات الإسرائيلية التي تمّ إنزالها تعاني من المصاعب، فتمَّ تعزيزها بـ ١١ طائرة مروحية تحمل مشاة... ولم تستطع القوات المدرعة الإسرائيلية القادمة من الشونة الالتحاق بقوات الإنزال الإسرائيلي في الكرامة إلا بين ١٠:٠٠-١:٣٠ صباحاً. وأشار سيمنز إلى مزية الخنادق التي جهزتها القوات الأردنية لمدفعيتها ودباباتها قبل شهرين على الأقل من المعركة، حيث ظهر من خلال استطلاعه أن القصف الإسرائيلي لها كان . إلى حد كبير . غير فعّال.[٣٧]

وقال سيمنز إن القوات الإسرائيلية دمرت بشكل منهجي المباني على جانبي الطريق الرئيسي للكرامة كما دمرت مركز الشرطة والسينما. أما المباني على الطرق الجانبية فيظهر أنها لم تتضرر إلى حدّ كبير. وأضاف إن الطيران الإسرائيلي دخل المعركة في الساعة ٧:٥٠ صباحاً بستِّ طائرات ميراج Mirage هاجمت الكرامة، ونقل عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية إن الطائرات المستخدمة كانت أساساً سوبر ميستير Super-Mestere وميراج، وأنها استخدمت القنابل والصواريخ في القصف. وقال سيمنز إن الطائرات استخدمت في موجات هجومها تشكيلات من ٢ أو ٤ أو ٦ أو ٨ طائرات، وأن الضربات الجوية استمرت حتى آخر انسحاب إسرائيلي في الساعة ٨:٣٠ مساء. وقد أوضح زميله الملحق العسكري البريطاني في تل أبيب أن الطائرات قامت بنحو ٤٥٠ غارة خلال ذلك اليوم، وأن هجماتها ضدّ المدفعية الأردنية كانت على الأغلب غير فعالة بالمرة.[٣٨]

---

[٣٧] Ibid.

[٣٨] Ibid.

أما بالنسبة للهجوم على منطقة جنوبي البحر الميت، والذي اكتسب طابعاً ثانوياً، فينقل سيمنز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية قوله إنه في الساعة ٦:٣٠ صباحاً هبطت ١١ طائرة مروحية في المنطقة، وأنه في الساعة ٨:٣٠ جاءت ٦٠ دبابة وعربة نصف مجنزرة إلى الصافي لدعم الإنزال، وأنها انسحبت بعد إيقاع دمار كبير في الصافي في الساعة ٥:٠٠ مساء. لكن مدير المخابرات العسكرية اعترف أن معلوماته حول هذه العملية ضئيلة. أما سيمنز فيذكر أنه بناء على المعلومات التي استقاها من مهندس مدني بريطاني في المنطقة، فإن ما ذكره مدير المخابرات العسكرية مبالغ فيه جداً (وهنا طلب سيمنز ألا تنسب هذه المعلومة إلى أيِّ مصدر، ربما حرصاً على سلامة المهندس البريطاني وحفظاً لموضعه). وقال إنه في الساعة السادسة صباحاً جاءت ثلاث طائرات مروحية صغيرة ترافقها طائرة استطلاع، وقامت بإنزال جنود إسرائيليين، كما جاءت طائرة مروحية أخرى بعد ساعتين. وأنه في الساعة ٦:٣٠ صباحاً سمعت انفجارات في منطقة خنزيرة، وفي التاسعة صباحاً وصلت دبابتان إلى فيفا وبدأتا هدم البيوت، ثم اتجهتا إلى الصافي حيث قامتا بنفس العمل. وذكر سيمنز أن أحد شهوده رأى دبابة مصابة بمضاد دبابات أردني عيار ١٠٦ مم. ونقل سيمنز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية أن ثلاث طائرات ميستير هاجمت الصافي، وعلَّق سيمنز بأن لذلك أهمية خاصة، حيث إن الهجوم قريب جداً من محطة رادار مصرية في منطقة دبكة .[٣٩]

ونقل سيمنز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية أن الانسحاب الإسرائيلي بدأ في الساعة الثانية بعد الظهر، وأنه اكتمل في الساعة الخامسة مساء من قرية الكفرين وجسر دامية. وقال سيمنز إنه يبدو أن القوات الإسرائيلية في الكرامة انسحبت عبر جسر أم شوغات. وقال إنه يعتقد أن خماش (رئيس الأركان الأردني) أمر بحصار القوات الإسرائيلية في الشونة حتى الساعة ٦:٣٠ مساء، بهدف إشعارهم أنهم وقعوا في المصيدة. وقال إن ما فعله كان نموذجاً لطريقته في القيادة، إذ يظهر أنه لم يقم بمحاولة جادة لإبادة هؤلاء الإسرائيليين، أو ملاحقة قواتهم المنسحبة، خوفاً من تصعيد الأمر، وكذلك من المحتمل أنه لم يكن يرغب في الدخول في اشتباك ليلي يضيِّع ذخيرته فيه. وعلى أيّ حال، فقد تمّ الانسحاب الإسرائيلي من شرق الأردن في الساعة ٨:٣٠ مساء، وتوقف القتال. وأشار سيمنز إلى أن الأردنيين كانوا قد رفضوا طلب الجنرال أود بول Odd Bull (مراقب الأمم المتحدة) بعد الظهر بوقف إطلاق النار، لأنهم كانوا يريدون التأكد من انسحاب كل الجنود الإسرائيليين عبر النهر.[٤٠]

---

[٣٩] Ibid.

[٤٠] Ibid.

أما بالنسبة لخسائر الطرفين، فإن الخسائر الأردنية حسب مدير المخابرات العسكرية الأردنية كانت في صباح ٢٢ آذار/ مارس استشهاد ٢٢ جندياً بينهم ٦ ضباط، وجرح ٦٣ جندياً بينهم ١٢ ضابطاً. وقال إنه أُخبر أن عشرة من هؤلاء الجرحى ماتوا خلال يوم ٢٢ آذار/ مارس ليصبح العدد ٣٢ شهيداً و٥٣ جريحاً. وعلَّق سيمنز على ذلك بأن مصدراً بريطانياً موثوقاً جداً، وفي مركز مهم، ولكن حساس جداً، قال إن قائمة الموتى في مستشفى ماركة العسكري في صباح ٢٣ آذار/ مارس تضمنت ٧٦ شخصاً، وأنه خلال زيارة وادي الأردن في اليوم نفسه رأى المصدر ٢١ جثة في وحدة إسعاف ميدانية. وقال المصدر إن الجرحى في مستشفى ماركة العسكري بلغوا حوالي ١٢٠ جريحاً. ونقل سيمنز عن مصدر بريطاني آخر اعتبره موثوقاً بالدرجة نفسها وله مركز مهم وحساس، إنه بعد ظهر ٢١ آذار/ مارس استلم مستشفى ماركة العسكري ٢٧ مصاباً بجروح كان من الواضح أنها بسبب الاشتباك المتلاحم (بالسلاح الأبيض). وعلَّق سيمنز على ذلك بأن هذا يعطي مصداقية للدرجة التي وصل إليها القتال في الكرامة، ويلقي بالشك على الأرقام الرسمية للمصابين، لكن سيمنز لم يبين إذا كان هؤلاء القتلى والجرحى هم فقط من الجيش الأردني، أم أن هناك فدائيين وربما مدنيين من بينهم... وذكر سيمنز أنه قد تمّ تدمير عشر دبابات أردنية و١٠ مركبات مختلفة ومدفعين، كما استشهد بين ١٠ إلى ١٢ مدنياً في شمال البحر الميت (أشار مدير المخابرات الأردنية إلى احتمال وجود قتلى آخرين في الكرامة) وأن هناك ٧ شهداء جنوبي البحر الميت.[٤١]

أما الخسائر الإسرائيلية فينقل سيمنز عن مدير المخابرات العسكرية الأردنية قوله إن معظم الإصابات الإسرائيلية حدثت حتى الساعة العاشرة صباحاً، وأن الأردنيين التقطوا رسالة إسرائيلية تقول إن لديهم ٧٣ قتيلاً، وكثيرون آخرون من الجرحى. وبناء على ذلك قال إن مجموع الإصابات الإسرائيلية هو حوالي ١٥٠-٢٠٠. وأضاف مدير المخابرات العسكرية إنه تمّ إصابة ٤٥ دبابة إسرائيلية، و٢٥ عربة مجنزرة، و٢٧ عربة أخرى، وأنه ظلَّت بقايا ١٧ عربة في شرقي الأردن. ولاحظ سيمنز أن الإسرائيليين قاموا بعمل هائل لسحب معداتهم. وأضاف إن السلطات الأردنية قالت أنها أسقطت ثلاث طائرات ميستير بين ٩:٠٠-٩:٣٠ صباحاً، وطائرتين أخريين غير محددتين بعد الساعة الخامسة مساء.[٤٢]

---

[٤١] Ibid.

[٤٢] Ibid.

أما الملحق العسكري البريطاني في تل أبيب فيقول إن الإسرائيليين خسروا ٢١ قتيلاً و٧٠ جريحاً مات ثلاثة منهم بعد ذلك. وتركوا وراءهم (في شرق الأردن) أربع دبابات على الأقل وعربتان نصف مجنزرتين. وأضاف إن الإسرائيليين يدَّعون أنهم قتلوا ١٨٠ فدائياً من فتح تقريباً، وقبضوا على ١٣٠ اعترف ٩٠ منهم أنهم من فتح، وأنه تمّ تدمير مخازن ومعدات الفدائيين أو مصادرتها في الكرامة.[٤٣]

وقد علَّق السفير البريطاني في عمّان على تقديرات "إسرائيل" للإصابات الأردنية فيقول إنه يظهر أنها مبالغ فيها جداً، وإن تقديم تقرير دقيق هو مستحيل الآن، ولكن المجموع يقدر بـ٤٠ قتيلاً و٧٠ جريحاً في الكرامة، و٧ قتلى وعدد غير معروف من الجرحى في القاطع الجنوبي، وأن معظم الإصابات كانت في أفراد الجيش الأردني.[٤٤]

إن الملفت للنظر في تقرير سيمنز المفصل عن المعركة أن الفدائيين كانوا غائبين عن تفصيلاته لسير المعركة، ولم يتطرق إلى مقاومتهم ولا إلى تقديراته هو لأسلحتهم وأعدادهم، كما لم يتطرق إلى أعداد شهدائهم وخسائرهم!! بالرغم من أنه اعترف منذ البداية أنهم كانوا أساساً هدف الهجوم الإسرائيلي، كما أشار إلى الشعبية الهائلة التي حصلوا عليها بعد المعركة. وليس لدينا تفسير أكيد لغياب هذه التفصيلات عن تقريره، ولكن ربما عاد الأمر إلى ضحالة معلوماته أو عدم وجود مصادر معلومات خاصة له في أوساط الفدائيين، وأنه فضَّل كتابة المعلومات المباشرة التي استقاها بنفسه من مصادره المختلفة.

وفي الوثائق البريطانية المحفوظة هناك برقيتان من السفارة البريطانية في تل أبيب نقلتا تصريحين لناطق باسم الجيش الإسرائيلي في أثناء الهجوم الإسرائيلي. ويشير التصريح الأول للناطق العسكري أن القوات الإسرائيلية دمَّرت مراكز الشرطة في دفَّال والصافي والسيسي، ودمرت قواعد الفدائيين في الصافي ووادي الحسا.[٤٥] وفي التصريح الثاني يقول الناطق العسكري في الساعة ٣:٤٥ بعد الظهر أنه تم تنفيذ كافة المهام وأن أجزاء من القوات عادت والباقي في طريقه للعودة... وأنه قتل ١٥٠ فدائي، ولحقت خسائر كبيرة بالجيش الأردني ودمرت ١٥ دبابة على الأقل وتم الاستيلاء على اثنتين وأنه تم إصابة كثير من قطع المدفعية الأردنية. واعترف (حتى ساعة تصريحه) بمقتل ١٥ وجرح ٧٠ إسرائيلياً وإصابة ٦ عربات مجنزرة وإسقاط طائرة إسرائيلية واحدة.[٤٦]

---

[٤٣] Report of the British Defence Attache in Tel Aviv.

[٤٤] Tel. no. 240, Adams to F.O., Immediate, Confidential, 23/3/1968, FCO 17/633.

[٤٥] Tel. no. 372, Hadow to F.O., Immediate, 21/3/1968, FCO 17/633.

[٤٦] Tel. no. 376, Hadow to F.O., Immediate, 21/3/1968, FCO 17/633.

ولا مجال هنا لمناقشة تفصيلات المعركة وخسائر الأطراف من وجهة نظر الأردن أو المقاومة الفلسطينية، لأن محور مقالنا متعلق بالوثائق البريطانية. غير أننا—استكمالاً للصورة والمقارنة—نشير باختصار إلى أن هناك شبه إجماع أن القوات الإسرائيلية مكونة من أربعة ألوية، وكانت بحدود ١٥ ألف جندي، وأن الفدائيين الذين قاتلوا كانوا نحو ٥٠٠ فدائي، أما القوات الأردنية التي واجهت الهجوم فكانت فرقة عسكرية مكونة من ثلاثة ألوية (٥-٦ آلاف) بقيادة مشهور حديثة الجازي. وقد تولى أبو عمار "ياسر عرفات" بنفسه قيادة الفدائيين وإلى جانبه أبو إياد وفاروق قدومي وأبو صبري. وقد نصحت القيادة العسكرية الأردنية فتح بالانسحاب لأن طبيعة حرب العصابات التي يخوضونها لا تحتمل مواجهة جيش نظامي، غير أن قيادة فتح قرَّرت ما أسمته "الصمود الواعي"، خصوصاً بعد حالة الإحباط والهزيمة التي تلت حرب ١٩٦٧، ولذلك سعت فتح إلى تحقيق عدة أهداف أبرزها: رفع معنويات الجماهير، وتحطيم معنويات العدو، وقهر أسطورته بأنه جيش لا يقهر، وزيادة الثقة والتقارب مع الجيش الأردني، وتنمية القوى الثورية داخل الشعب العربي، واختبار ثقة المقاتلين بأنفسهم في المعارك الحاسمة. وتشير هذه الأدبيات إلى حالة الصمود والتضحية المتميزة في صفوف الفدائيين والجيش، وإلى روحهم المعنوية العالية، وإلى مدى الخسائر الكبيرة والإرباك الذي أصاب القوات الإسرائيلية، بحيث أصبحت معركة الكرامة أقرب إلى "ملحمة أسطورية" ألهبت حماس الجماهير التي أقبلت بعشرات الآلاف على التطوع في صفوف الثورة.

وفضلاً عن الاختلاف الكبير في تقديرات الطرفين الإسرائيلي والعربي لخسائرهما فإننا نجد أن المصادر العربية نفسها تعطي أرقاماً متضاربة بحيث يحتاج "فكُّ" ألغازها إلى دراسة خاصة!! ونحيل القارئ الكريم إلى الهامش التالي الذي ذكرنا فيه بعض الروايات. ونميل وفق مجمل المعطيات أن شهداء الفدائيين كانوا نحو مائة، وشهداء الجيش الأردني كانوا نحو ستين، وحوالي ستين آخرين من الجرحى، ولعل قتلى الإسرائيليين كانوا ٧٠ تقريباً وجرحاهم حوالي مائة.[٤٧]

---

[٤٧] نقل **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨** عن مصادر أردنية رسمية أن عدد القتلى الإسرائيليين كان ٢٥٠ قتيلاً بينهم ١٧ ضابطاً والجرحى ٤٥٠ من جميع الرتب، بالإضافة إلى ٢٠ دبابة وآلية بقيت في أرض المعركة و٨٨ دبابة وآلية تم سحبها، وأسقطت ٨ طائرات، ونقل عن الملك في مؤتمره الصحفي في ٢٣ آذار/ مارس أن العرب فقدوا ٤٠ جندياً و٥٧ مدنياً. أما **الموسوعة الفلسطينية** فذكرت أن الإسرائيليين خسروا سبعين قتيلاً وأكثر من مائة جريح، و٤٥ دبابة، و٢٥ عربة مجنزرة، و٢٧ آلية مختلفة و٥ طائرات. واستشهد من الفلسطينيين ١٧، وفقد الأردنيون ٢٠ شهيداً و٦٥ جريحاً و١٠ دبابات و١٠ آليات مختلفة، ودمَّر الإسرائيليون عدداً كبيراً من المنازل وأسروا ١٤٧ فلاّحاً بحجة أنهم من الفدائيين. وفي مقال يزيد صايغ في القسم الثاني من **الموسوعة الفلسطينية** قال إنه قتل=

وقد حمل السفير البريطاني في تل أبيب على ما أسماه مبالغة بيانات المقاومة الفلسطينية في ذكر عدد الإصابات الإسرائيلية، وقد كتب رسالة مفصلة بهذا الشأن إلى الخارجية البريطانية، وأرفقها بجدول (Annex A) يقارن ما يعلنه الطرفان الفلسطيني والإسرائيلي عن العمليات ونتائجها وقد أشار إلى أن الفلسطينيين أعلنوا في معركة الكرامة عن مقتل ٣١٥ إسرائيلياً (بينهم ١٥ قتلوا في أثناء الانسحاب) وجرح ٤٠٠ إسرائيلي آخرين، وأنه قد استشهد أو فُقِد أو جرح ٢٥ من فتح، واستشهد ٢٣ من قوات التحرير الشعبية. أما الإسرائيليون فأعلنوا عن مقتل ١٥٠ فلسطينياً، ثم ادّعوا بعد ذلك مقتل ٢٠٠–٢٥٠، والقبض على ١٣٠–١٥٠ آخرين. وقد مال هادو إلى أن الأرقام الإسرائيلية أقرب إلى الدقة.[٤٨]

ثالثاً: نتائج معركة الكرامة:

ربما لا يستشعر القارئ العادي نتائج كبيرة متوقعة من هذه المعركة، فالمعركة استمرت ١٥ ساعة فقط، وخسائر الطرفين في القتلى والجرحى والمعدات ظلت في حدود "معقولة" بشكل لا يؤثر جوهرياً على الوضع العسكري للطرفين، كما لم تُحتل أو تتحرر أيّ أرض جديدة. ولكن، لعل أهمية هذه المعركة تكمن في أن الطرف العربي صمد ولم يُهزم، وأفشل الهجوم الإسرائيلي، وليس بالضرورة لأنه أحدث قدراً أكبر من الخسائر في الطرف الإسرائيلي. لقد أحدثت حرب ١٩٦٧، وما نتج عنها من تمكن الكيان الصهيوني من التوسع بثلاثة أضعاف حجمه السابق خلال بضعة أيام، شعوراً بالمهانة والمرارة والإحباط في الوسط العربي. وعندما حدثت معركة الكرامة كانت قفزة نوعية في الأداء العربي،

= ٢٨ إسرائيلياً وجرح ٩٠ مقابل ١١٦ شهيداً من الفدائيين و ٦١ شهيداً من الجيش الأردني. وذكر صلاح خلف أن شهداء الفدائيين يزيدون عن المائة، وذكر رياض الريس ودنيا نحاس في **المسار الصعب** أن شهداء الفدائيين كانوا ٩١ من فتح و٣٣ من قوات التحرير الشعبية. ونقل **الكتاب السنوي للقضية** أيضاً عن مصادر لفتح أن الإسرائيليين خسروا ٧٩ قتيلاً وحوالي مائة جريح. أما مشهور حديثة فذكر في الحلقة الخامسة من مقابلته مع أحمد منصور في برنامج شاهد على العصر في قناة **الجزيرة** بتاريخ ١ تموز/ يوليو ١٩٩٩ أن شهداء الفدائيين زادوا عن مائة، وأن شهداء القوات الأردنية وجرحاها كانوا ١٢٠، وأما خسائر الإسرائيليين فقدرت بـ ١٢٠٠ قتيل وجريح وحوالي ٤٠٠ آلية مدمرة، وإسقاط ٧ طائرات.

انظر حول هذه المعلومات، ولمزيد من التفصيلات: **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، ج ٥، ص ٧٨–٨١، وص ١١٩–١٢١؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، إشراف أحمد المرعشلي (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤)، ج ٣، ص ٦٣٦–٦٣٨؛ ويزيد صايغ، **مرجع سابق**، ج ٥، ص ٣٨٣؛ وصلاح خلف، **مرجع سابق**، ص ٩٥–٩٧؛ ورياض الريس ودنيا نحاس، **المسار الصعب** (بيروت: دار النهار، ١٩٧٦)، ص ٤٢.

[٤٨] Despatch, Hadow to A.R. Moore, F.O., Confidential, 12/6/1968, FCO 17/55.

فكانت بمثابة بارقة الأمل التي تجددت في نفوس العرب، كما فتحت آفاقاً رحبة للعمل الفدائي الفلسطيني الذي أثبت كفاءته وقدرته في مواجهة العدوان الإسرائيلي، مما أكسبه أرضية صلبة، فاندفع عشرات الآلاف للانضمام إلى صفوفه.[٤٩]

لقد تحدثت العديد من الوثائق البريطانية حول نتائج معركة الكرامة وانعكاساتها، وسنحصر أنفسنا هنا في دراسة تلك الانعكاسات على العمل الفدائي الفلسطيني، وعلى الأردن والكيان الإسرائيلي والأصداء الدولية لذلك.

أ. الانعكاسات على العمل الفدائي الفلسطيني:

كان العمل الفدائي الفلسطيني—وخصوصاً فتح—هو أكثر المستفيدين من معركة الكرامة، فبعد يومين من المعركة أرسل السفير البريطاني في عمّان آدمز برقية إلى الخارجية يؤكد فيها أن الهجوم الإسرائيلي على الكرامة "كان له تأثير معاكس تماماً للأهداف الإسرائيلية". وأضاف إن الرأي العام لا يعد الهجوم الإسرائيلي هزيمة لفتح أو للجيش الأردني، وأن فتح والجيش قد صار لهما قضية مشتركة من خلال المعركة، وهذا قوّى من مكانة فتح وزاد من دعم الجيش لها. كما أن الدعم الشعبي لفتح والجيش ظهر واضحاً بمشاركة جمهور ضخم جداً في جنازات الشهداء يوم ٢٢ آذار/ مارس ١٩٦٨. وقال إن فتح تشارك الآن بشكل علني في السيطرة على قاطع الكرامة في وادي الأردن، وأن أعضاءها ظاهرون تماماً للعيان في عمّان، وأن نجم فتح "آخذٌ الآن في الصُعود في الأردن".[٥٠] وسخر سيمنز، الملحق العسكري البريطاني في عمّان، من ادّعاء نائب مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية أن هدف الهجوم قد تحقق، وأنه قد تمّ ضرب فتح بقوة، وأن القيادة الحالية قد صُدمت بعنف. وقال سيمنز "إنه ليس هناك شيء أبعد عن الحقيقة من هذا"!! وإنه نتيجة لهذه المعركة فإن فتح تدَّعي، ويدعمها الرأي العام، أنهم من خلال قتالهم جنباً إلى جنب مع الجيش الأردني كانوا مسؤولين عن هزيمة الإسرائيليين. وقال إنه من الملاحظ جداً منذ ٢١ آذار/ مارس أن "فتح تستعرض قوتها بشكل علني، وبكامل سلاحها في شوارع عمّان، ويحصل عناصرها على قصّ شعر وحلاقة مجانية. وبعكس ما اعتقده الإسرائيليون قبل ذلك، فإن هذا لم يحدث من قبل". وأضاف سيمنز "إنه من خلال استطلاعنا لوادي الأردن، كان من الواضح أن فتح تتعاون بشكل علني مع الشرطة، بدعم من الجيش؛ وأنه في الحقيقة، فإن فتح لا تزال موجودة في الكرامة بأعداد كبيرة، وتتولى السيطرة".[٥١]

---

[٤٩] انظر مثلاً حول الانعكاسات الإيجابية لمعركة الكرامة في المصادر العربية: صلاح خلف، **مرجع سابق**، ص ٩٧؛ و**الموسوعة الفلسطينية**، ج ٣، ص ٦٣٨؛ ورياض الريس، **مرجع سابق**، ص ٤٢.

[٥٠] Tel. no. 241, Adams to F.O., Confidential, Immediate, 23/3/1968, FCO 17/633.

[٥١] Simons Report.

ولم تخل لهجة السفير البريطاني في عمّان في وصفه للنفوذ الذي أخذ يتمتع به الفدائيون من نوع من التحريض ضدهم، بحجة الخشية على نظام الحكم القائم هناك. ففي برقية أرسلها في ٢٨ آذار/ مارس ١٩٦٨ قال "**إن الوضع هنا أصبح حرجاً...**" ... "**إن الفدائيين يُوسِّعون يومياً سلطتهم غير القانونية في تحدٍّ للحكومة، ويهدِّدون بأن يكونوا حكومة داخل حكومة**".[٥٢] لكن السفير آدمز اعترف أن الرأي العام يقف إلى جانب الفدائيين، وقال في رسالة أخرى في ٢ نيسان/ أبريل ١٩٦٨ إنه منذ الهجوم الإسرائيلي على الكرامة في ٢١ آذار/ مارس فإن أنشطة الفدائيين وأضاعهم قد اكتسبت "اهتماماً مشؤوماً أعظم من قبل" على حدّ تعبيره. وأضاف إن الملك حسين وإدارته الذين حاولوا خلال الأسابيع الماضية الظهور بشكل متعاطف مع الفدائيين، دون استفزاز "إسرائيل" بالظهور بشكل علني داعمين للفدائيين، قد وجدوا أن "الرأي العام يطلب منهم موقفاً أكثر إيجابية تجاه هؤلاء الأبطال الشعبيين".[٥٣]

وقد علل آدمز سبب تغيُّر الرأي العام بسرعة إلى جانب الفدائيين بأمرين: الأول أن الناس بشكل عام ساخطون لعدم حصول تقدم باتجاه تسوية سلمية...، وما دام الإسرائيليون يرفضون بإصرار قرار الأمم المتحدة الصادر في ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧ (قرار مجلس الأمن ٢٤٢) بشكل لا لبس فيه، فإن الطريق مغلق، وإن رحلات مندوب الأمم المتحدة جارنج قد أصبحت في أعين الأردنيين أقرب إلى أن تكون سخيفة مثيرة للسخرية. والأمر الثاني: أن الهجمات الإسرائيلية على وادي الأردن قد أرهبت السكان المدنيين فغادروا بأعداد كبيرة، مما سهَّل على المجموعات الفدائية السيطرة على مساحات واسعة من وادي الأردن. وأشار آدمز إلى قدرات الفدائيين المتميزة في المجالات الإعلامية، فقال إن الفدائيين "تمكنوا بذكاء من جني مكاسب شعبية إثر عملية ٢١ آذار/ مارس، بالرغم من أنهم—بناء على مصادر موثوقة—لم يكن لهم بالذات دور عظيم أو متألق فيها، وإن الذي تحمل العبء الأكبر فيها هو الجيش الأردني"، لكن الفدائيين "سارعوا إلى ادّعاء انتصارهم" على حدّ تعبيره. ولاحظ آدمز أن الفدائيين مدعومون بفعالية في علاقاتهم العامة عبر متحدثين باسمهم في بيروت وخارج الأردن.[٥٤] وعلى أي حال، فإن هذا التحليل بالرغم من أنه لا يخلو من جوانب صحيحة، إلا أنه لم يلمس جوهر إعجاب الناس بالعمل الفدائي، والمتمثل أساساً في ريادة هذا العمل للمقاومة المسلحة بعد حرب ١٩٦٧، والتضحيات والصمود والبطولات التي أبدوها في أثناء المعركة، والآمال التي بعثوها في جوٍّ قاتم مُحبط.

---

[٥٢] Tel. no. 271, Adams to F.O., Immediate, Secret, 28/3/1968, FCO 17/635. Emphasis added.

[٥٣] Despatch, The Fedayeen, Adams to A.R. Moore, F.O., Confidential, 2/4/1968, FCO 17/222.

[٥٤] Ibid.

ويرى آدمز في رسالته (بعد ١١ يوماً من المعركة) أنه "**في الوقت الحالي، فإن الفدائيين هم القوة الفعالة في الصراع العربي الإسرائيلي. وبالنظر إلى أن الدول العربية لا تستطيع توجيه قواتها بفعالية ضدّ إسرائيل. فربما كان على فتح أن تحمل شعلة النضال العربي ضدّ إسرائيل**". ولعل هذا يعدُّ شهادة كبيرة من هذا السفير لصالح فتح، لكن آدمز استدرك قائلاً إنه لا يجب استبعاد أن يكون الفدائيون عرضة للضعف العربي المعتاد من "عدم الوحدة، ومن الميل إلى تدمير الذات"!! ويرى آدمز أن الادعاءات المتفاخرة والمبالغ فيها للناطقين باسم الفدائيين، لا ينبغي أن تحمل على الاعتقاد أنهم "سيظلون دائماً صاخبي الصوت وعديمي الفعالية"؛ إذ قد يتمكن الفدائيون مع الزمن من تحقيق نتائج فعالة في عملياتهم ضدّ "إسرائيل". ثم إنه يرى أن الأرض الخصبة للتوالد في مخيمات اللاجئين... يمكن أن يتوقع منها أن تنتج عدداً ضخماً من الفلسطينيين الغاضبين اليائسين دون أيّ شيء يخسرونه، والذين تعرض عليهم فتح مخرجاً من الضجر الذي يضعف المعنويات، وبعض الأمل، حتى لو كان باهتاً، بتحرير الأراضي العربية".[٥٥]

وقد لمس موظفو السفارة البريطانية بأنفسهم تصاعد النفوذ الفدائي، فقد أشار أحد كبار موظفيها في برقية إلى الخارجية في ٢٥ آذار/ مارس ١٩٦٨ إلى أنه تمّ إيقافه من حاجز فدائي عندما حاول في اليوم السابق الذهاب إلى وادي الأردن. وأن الفدائي الذي أوقفه كان يلبس لباساً أنيقاً زيتونياً، وأنه كان من الواضح أنه ذو شعبية بين السكان المحليين، بما فيهم الشرطة والجيش، في المكان الذي كان فيه ذلك الحاجز.[٥٦] وأرسل الموظف نفسه بعد ذلك بأسبوع رسالة إلى الخارجية البريطانية قال إن حالة إثارة كبيرة قد حصلت في منطقة السوق في عمّان إثر معركة الكرامة، حيث سارت جنازات مقاتلي فتح والجيش الأردني. وليومين أو ثلاثة نظمت مظاهرات ضخمة. ولكن الوضع عاد لحالته الطبيعية، بالرغم من أن الفدائيين ما يزالون ظاهرين بشكل واضح. وأشار إلى وجود حادثة أو حادثتين لقيام فدائيين بجمع تبرعات من الجالية الأجنبية، وحادثة أو حادثتين أخريين أن أجانب تمّ إيقافهم في عمّان من قبل من يدَّعون أنهم يمثلون المنظمة (الفدائيين) وطلبوا منهم إظهار جوازات سفرهم. لكنه أضاف إنه لم تحدث حوادث يمكن أن توصف بأنها بشعة تجاه الرعايا البريطانيين، وأن كل طلبات المال جاءت بشكل مؤدب. ولاحظ أن عملية جمع الأموال من الأردنيين تتم بصورة منظمة جدّاً.[٥٧]

---

[٥٥] Ibid. Emphasis added.

[٥٦] Tel., D.G. Crawford, Amman to M.E. Daly, F.O., 25/3/1968, FCO 17/222.

[٥٧] Letter, Crawford, Amman to J.C. Moberly, F.O., 2/4/1968, FCO 17/222.

وحتى أواخر أيلول/ سبتمبر ١٩٦٨ كان آدمز ما يزال على قناعته بالمكاسب التي جنتها فتح نتيجة معركة الكرامة والغارات الإسرائيلية الانتقامية، وأكد أنه "منذ حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ أصبحت فتح هي الأكثر شهرة وسحراً وشعبية بين المنظمات الفدائية"، وقال إن هذا يعود جزئياً إلى قدرة فتح على التعامل بفعالية في مسألة الدعاية ورفع شعبيتها. ولاحظ أن الإسرائيليين لا يفرقون عادة بين مجموعات الفدائيين، ولكنهم يشيرون إليهم كلّهم على أنهم فتح. كما لاحظ تزايد الدعم للفدائيين بالمال والرجال، وأن الهجمات الإسرائيلية الانتقامية لم تُروِّع المدنيين في شرق الأردن، ولكنها على العكس أفادت في إعطاء الأدلة على ما تدّعيه دعاية فتح من أن مجموعاتها الفدائية قد حققت ضربات قاسية ضدّ الإسرائليين. وقال إن حركة فتح هي منظمة كبيرة ومتشبعة الامتدادات، ويقدِّر عدد أعضائها بـ ١٠–١٥ ألفاً، وأن هناك ٣–٥ آلاف من أفرادها جاهزون لتنفيذ المهام (متفرغون). ولم يتردد آدمز في القول إنه "في الحقيقة فإن الفدائيين—لأول مرة منذ عشرين عاماً من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي—قد حصلوا على وضع في الأردن مكَّنهم من تحقيق دعم شعبي عظيم". ولم يتورع آدمز عند الاستنتاج الذي يحمل معنى تحريضياً ضدهم، فقال: "ولذلك لا يمكن للسلطات الأردنية أن تضعهم تحت السيطرة، ... **إن الملك حسين يعلم جيّداً أنه إذا لم يتحقق تطور جوهري باتجاه التسوية، فإن الفدائيين سيصحبون القوة المسيطرة في الأردن**".[٥٨]

ولم ينحصر الحديث عن انعكاسات معركة الكرامة على العمل الفدائي على السفير البريطاني في عمَّان وموظفيه، وإنما نجد تعليقات هامة للسفير البريطاني في تل أبيب هادو عليها أيضاً. ففي تقريره عن معركة الكرامة قال:

> بينما انتقد قليل من الإسرائيليين قرار الهجوم على قواعد الإرهابيين [الفدائيين] فإن هناك إدراكاً متنامياً أنه مهما كان النجاح العسكري، فقد كان لها نتائج خطيرة معاكسة على المستوى السياسي. إن النكسة الإسرائيلية الظاهرة قد عززت من الروح القتالية العربية، وأضعفت صورة الجندي الإسرائيلي الذي لا يقهر. ولم يتم سحق الإرهابيين [الفدائيين] أو إرعابهم لدرجة توقف عملهم. بل على العكس، فكل التقارير تقول إنهم عادوا بقوة إلى معسكراتهم، وهم أكثر ثقة من قبل. أصبحوا أبطالاً شعبيين. وتلقت حملة التجنيد التي يقومون بها زخماً جديداً. وبدلاً من ضرب إسفين بين الجيش والإرهابيين [الفدائيين]، فإن العملية قد جمعتهم معاً كرفاق سلاح. والملك حسين يظهر أقل قدرة من أي وقت مضى على السيطرة على الإرهابيين [الفدائيين]. وفي الحقيقة فإن الانطباع الذي أخذه معظم الإسرائيليين من الصحافة أنه قد تحالف معهم.[٥٩]

---

[٥٨] Despatch, The Fedayeen in Jordan, Adams to Stewart, F.O., Confidential, 26/9/1968, FCO 17/222. Emphasis added.

[٥٩] Hadow Report on the Karama Raid.

وقال إن على الإسرائيليين أن يتوقعوا تصاعداً في العمليات الفدائية، ويجب أن يكونوا قلقين أيضاً من احتمالات أن "حالة الانتعاش السائدة في الأردن ستنتقل إلى الضفة الغربية، وتجعل الظروف أكثر مناسبة لتحقيق هدف فتح الرئيسي—الذي لم تتخل عنه أبداً—وهو تصعيد ثورة شعبية ضدّ قوات الاحتلال".[٦٠] وفي اليوم التالي لإرسال هادو هذا التقرير، أرسل برقية إلى الخارجية البريطانية قال فيها إن "**فتح تتمتع بدعم شامل تقريباً في الأردن**".[٦١]

ولم يختلف الموقف الأمريكي عن الموقف البريطاني في استيعاب الفوائد العظيمة التي جناها العمل الفدائي الفلسطيني من معركة الكرامة. فقد علَّق باتل Battle (وهو مسؤول كبير في الخارجية الأمريكية) عندما ذُكرت له ملاحظات آدمز، في برقيته التي أرسلها في ٢٨ آذار/ مارس إلى الخارجية البريطانية، بأنه يوافق أن الحالة أصبحت حرجة في الأردن، وأن وصف الأردن بأنه "حكومة داخل حكومة" هو وصف دقيق، وأن الهجوم الإسرائيلي في ٢١ آذار/ مارس أدّى فقط إلى رفع الفدائيين في عيون العرب الآخرين. ونتيجة لذلك، ازدادوا قوة، وازدادوا وحدةً، وازدادت صعوبة السيطرة عليهم من جانب الملك".[٦٢]

ب. الانعكاسات على الأردن:

عندما نحاول استخلاص رؤية الوثائق—التي بين أيدينا—لنتائج معركة الكرامة على الأردن نجد أن التركيز ينصبُّ أساساً على أمرين:

الأول: انعكاسات تزايد شعبية العمل الفدائي ونفوذه على النظام الحاكم، والحكم الهاشمي تحديداً.

الثاني: احتمال توجيه "إسرائيل" لضربة كبيرة ثانية ضدّ الأردن، وما قد تحمله من انعكاسات خطيرة على نظام الحكم.

وبعبارة أخرى، نجد تركيزاً على تغذية المخاوف من خطورة صعود العمل الفدائي على مستقبل الحكم القائم في الأردن، أكثر من خطورته على الكيان الإسرائيلي. بمعنى أن التركيز كان على السلبيات المحتملة، وليس على الإيجابيات المحتملة، كأن يُتعامل مع العمل الفدائي كحليف أو على الأقل كورقة ضغط لاستعادة الأرض المحتلة، أو لتقوية الوضع التفاوضي الأردني. ومن الملفت للنظر أن تأتي هذه التحذيرات المبطنة قبل أن يكون للفدائيين مواقف واضحة معلنة من نظام الحكم، وقبل أن تدخل الساحة في أجواء المزايدات اليسارية، بل وقبل أن يكون للعمل الفدائي بنية تحتية صلبة تُمكّنه من تحدي النظام القائم.

---

[٦٠] Ibid.

[٦١] Tel. no. 439, Hadow to F.O., Secret, Priority, 29/3/1968, FCO 17/635. Emphasis added.

[٦٢] Tel. no. 1082, Sir P. Dean, Washington to F.O., Immediate, Confidential, 29/3/1968, FCO 17/635.

وعلى أيّ حال، فإن الوثائق تنقل في البداية تصريحاً لناطق رسمي أردني في ظهر يوم ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨ يؤكد أن حجج الإسرائيليين في الهجوم على الأردن حججٌ واهية، وأن الهجوم يعبر عن العجرفة العسكرية الإسرائيلية، وأن الأردن أثبت أنه غير مسؤول عن الحوادث التي تدّعي "إسرائيل" أنها تقع في الأراضي المحتلة. وأكد أن هذا الهجوم سيفشل، وسيجعل الأردن حكومة وشعباً أكثر قوة.[٦٣] وقد سرى اعتقاد في أوساط الحكم والجيش أن الهجوم الإسرائيلي لم يكن يستهدف الفدائيين فقط، وإنما كانت له أهداف أوسع كاحتلال الأرض. ولذلك، ارتفعت معنويات الجيش الأردني عالياً لأنهم اعتقدوا أنهم أفشلوا الخطة الإسرائيلية في احتلال جزء من أرض شرق الأردن.[٦٤] وهو ما أكده بعد ذلك مشهور حديثة في مقابلته مع فضائية الجزيرة.[٦٥] وقد نقلت الوثائق برقية من عمَّان حول المؤتمر الصحفي الذي عقده الملك حسين في ٢٣ آذار/ مارس ١٩٦٨ والذي بدا فيه "في مزاج واثق مرح" على حدّ تعبير البرقية. كما ظهرت القوة والحزم في نبرات حديثه، إذ قال إن الأردنيين لن يُسلِّموا أرضهم، "هنا نعيش بكرامة وهنا نموت". وأضاف الملك أن الأردن لا يمكن أن تتحمل مسؤولية أمن القوات الإسرائيلية التي تحتل أرضاً أردنية. وذكر أن كل الناس شاركوا بقوة في معركة الكرامة، وكان من الصعب التفريق بين الفدائيين وغيرهم. وعلق الملك بأن الأمور قد وصلت إلى درجة أن "**الأردنيين كلهم سوف يصبحون قريباً فدائيين**".[٦٦]

ويبدو أن الهجوم الإسرائيلي قد دفع الحكم في الأردن باتجاه أكثر تشدداً، وربما—في الوقت نفسه— إلى حالة أكثر قلقاً على التداعيات المستقبلية. فقد أشارت الوثائق إلى تحطُّم أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وأن الجيش والشعب في الأردن قد تجددت روحهم المعنوية. كما أشارت إلى انخفاض أعداد "المعتدلين" المؤيدين للسعي إلى تسوية سلمية، في مقابل ازدياد واضح في أعداد مؤيدي فكرة استخدام القوة العسكرية. وأنه—حسب تعبير آدمز—فإن "المعتدلين الأردنيين سيكون من شبه المؤكد أنهم الآن خائفون من التحدث تأييداً لمفاوضات تسوية مع إسرائيل" ونوه آدمز إلى أن "الملك حسين يجب أن يشعر أنه الآن أقلُّ قدرة على إدانة أنشطة فتح، وربما أقل ميلاً لعمل ذلك".[٦٧] وربما كان آدمز يلمِّح هنا إلى إدانة الملك للعمليات الفدائية في منتصف شباط/ فبراير ١٩٦٨، والتي سبقت الإشارة إليها.

---

[٦٣] Tel. no. 223, Adams to F.O., Priority, 21/3/1968, FCO 17/633.

[٦٤] Simons Report, and Tel. no. 246, Adams to F.O., Immediate, 24/3/1968, FCO 17/633.

[٦٥] مشهور حديثة، مقابلة مع أحمد منصور، برنامج شاهد على العصر، الحلقة الخامسة، قناة **الجزيرة**، ١ تموز/ يوليو ١٩٩٩.

[٦٦] Tel. no. 246, Adams to F.O., Immediate, 24/3/1968, FCO 17/633. Emphasis added.

[٦٧] Tel. no. 241, Adams to F.O., Immediate, Confidential, 23/3/1968, and Simons Report.

ومن جهة أخرى، كانت السلطات الأردنية تدرك مخاطر هجوم إسرائيلي أضخم من هجوم الكرامة، أو احتمالات احتلال أجزاء من شرق الأردن بحيث تكون موضوعاً للمساومة على تسوية سلمية أو إيقاف العمل الفدائي، وذلك في وضع عربي لم يتعاف بعد من هزيمة ١٩٦٧، وتختل فيه موازين القوى لصالح "إسرائيل" بدرجة عظيمة. ولذلك، سعى الملك حسين إلى شدّ أزر الأردن عربياً ودولياً، فدعا في أثناء الهجوم الإسرائيلي يوم ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨ إلى انعقاد مؤتمر قمة عربي طارئ.[٦٨] وهو ما لقي تأييداً من عدد من الدول العربية، وتردداً أو تجاهلاً من دول أخرى.[٦٩] ويبدو أن الملك كان بحاجة إلى الدعم المالي والعسكري، وإلى مشاركة دول الطوق الأخرى في السماح للفدائيين باستخدام أراضيها. فقد نقلت برقية سرية في ٢٦ آذار/ مارس ١٩٦٨ عن مخبرٍ ذكر أن الملك عبَّر عن قلقه—في أحد الاجتماعات—من فشل الدول العربية الأخرى في الوفاء بوعودها في دعم الأردن. وأن جزءاً كبيراً من المبلغ الذي تقرر في الخرطوم صرف على دعم اللاجئين، وأن الأردن يجد صعوبة كبرى في تعويض أسلحته التي خسرها في حرب ١٩٦٧ لعدم وجود المال. وقال إن الملك دعا لاجتماع قمة عربي جديد لشرح معاناة الأردن المالية، حيث يأمل في الاستجابة لذلك. وأضاف المخبر إن الملك مدح الفدائيين وبطولتهم، واقترح على الدول العربية الأخرى أن تسمح للفدائيين بالمرور عبر أراضيها، حتى يتم تخفيف المسؤولية الثقيلة عن الأردن، لكونها دائماً عرضة للعدوان الإسرائيلي.[٧٠]

وقد توقع الملك حسين هجمات إسرائيلية جديدة، وأكَّد على ذلك مسؤولون أردنيون قالوا إن "إسرائيل" قد تضرب أهدافاً مدنية مثل عمّان، أو المصفاة في الزرقاء. ومع ذلك، فإن آدمز كان يرى أن الملك حسين والحكومة الأردنية ما يزالون مخلصين في تحقيق تسوية سياسية. وقال إن الهجوم الإسرائيلي على الكرامة قد جعل من شبه المؤكد أمر النظر في الدخول في المفاوضات أكثر صعوبة على الملك، إلاّ إذا حصل على دعم صادق مخلص ومعلن من مصر على الأقل، وربما من الدول العربية الأخرى.

---

[٦٨] Tel., Adams to F.O., 21/3/1968, FCO 17/633.

[٦٩] أجاب الدعوة مصر والسودان والعراق ولبنان والكويت، وذُكر أن سورية والسعودية والجزائر لا تميل إلى عقده، غير أن السعودية في الأول من نيسان/ أبريل أبدت استعدادها إذا ما فشلت مهمة جارنج. انظر: **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨**، ص ١١٢.

[٧٠] Tel. no. 260, Adams to F.O., Priority, Confidential, 26/3/1968, FCO 17/222.

وفي كتابه "**مهنتي كملك**" أشار الملك حسين إلى هذا المعنى، مستغرباً أن تمنع سورية ومصر العمل الفدائي عبر أراضيهما. بينما تُوجّهان الفدائيين بلباقة نحو لبنان والأردن، وأنه "إذا كان أحد يعتبر نفسه أكثر قومية عربية مني، فليبرهن على ذلك في بلده نفسها، وليس باتخاذ الأردن أرضاً للتجارب". انظر: الحسين، **مهنتي كملك**، نشرها بالفرنسية فريدون صاحب جم، ترجمها للعربية غالب عارف طوقان (دون مكان: دون ناشر، دون تاريخ)، ص ٢٣١.

لكن آدمز لم يكن متفائلاً أن مؤتمر القمة العربي القادم سوف يدعم المعتدلين بالدرجة نفسها التي حدثت في مؤتمر الخرطوم في آب/ أغسطس ١٩٦٨.[٧١]

وقد التقى آدمز الملك حسين في ٢٧ آذار/ مارس ١٩٦٨، وأرسل آدمز برقية في اليوم التالي حول لقائه بالملك. وذكر أن الملك أخبره أنه ما يزال يعمل كل ما يستطيعه لوضع الفدائيين تحت السيطرة، وأنه قد تم عزل عدد من المجموعات المختلفة، وأن ذلك كان أمراً مساعداً. ولكن الملك، حسب تعبير آدمز "اعترف أن المشكلة كبيرة جداً بالنسبة له". وقال آدمز إن الملك يبدو أنه يرى أن الأمل الوحيد في إحراز تقدم هو في اجتماع القمة العربي. ونقل آدمز عن الملك أن كل الدول العربية سوف تضع أوراقها على الطاولة، بما في ذلك الدول التي تقدِّم دعماً مادياً للفدائيين، وأنه يجب الخروج بنتيجة. وقال آدمز إن الملك لم يحدّد النتيجة، لكن انطباع آدمز أن الملك يأمل أن يشارك الآخرون بتخفيف ثقل المسؤولية عن كاهله تجاه أولئك "الوطنيين المتحمسين المزعجين"، الذين تحمله "إسرائيل" مسؤوليتهم.[٧٢]

وحسب آدمز، فإن الملك حسين توقع قيام "إسرائيل" بهجوم أعنف، وقد أخبره الملكُ—كما أخبر الملكُ السفيرَ الأمريكي بشكل منفصل—أن "هجوماً آخر ربما يكون نهاية الأردن"، وأنه "سوف يؤدي إلى إضعاف الأردن عسكرياً، لدرجة أن بقاءه سيكون موضع شك". ويرى آدمز أنه بناء على حقائق الوضع فإن هذا التقدير لا يبدو بعيداً جدًّاً، موضحاً ذلك بأن "الفدائيين يزيدون يومياً سلطتهم غير القانونية في تحدٍّ للحكومة، ويهددون بأن يكونوا حكومة داخل حكومة".[٧٣] أي أن آدمز لم يركز على الاستعدادات العسكرية الإسرائيلية لتأكيد الهجوم، بل قام بدلاً من ذلك بالتركيز على ما يمكن أن يجنيه الفدائيون فيما لو سقط النظام الحاكم.

وقد سأل الملكُ آدمز بصراحة بماذا يمكن أن يساعد أصدقاءُ الأردن بلده في حال تعرضها لهجوم آخر. فسأله آدمز: ما هو أكثر شيء يحتاجه؟ فكانت الإجابة: السلاح. ولكن الملك أعطى أهمية عظيمة لدور الأمم المتحدة. وأكَّد أن الأردن سوف يستمر في دعم مهمة جارنج. وقد شكَّك آدمز في أن تقديم دعم عسكري عاجل بعددٍ قليل من طائرات هنتر مثلاً سيحسِّن الوضع، بل إن ذلك سيزيد من خطر ضربة إسرائيلية ضدّ سلاح الطيران الأردني، وأن الشيء نفسه ينطبق على تسريع تسليم الولايات

---

[٧١] Tel. no. 241, Adams to F.O., Immediate, Confidential, 23/3/1968, FCO 17/633, and Tel. no. 246, Adams to F.O., Immediate, 24/3/1968, FCO 24/3/1968.

[٧٢] Tel. no. 271, Adams to F.O., Immediate, Secret, 28/3/1968, FCO 17/635.

[٧٣] Ibid.

المتحدة بمعدات للجيش الأردني.[٧٤] وهذا تعليل غريب من آدمز، قد يفهم منه ميله لاسترضاء الطرف الإسرائيلي أو عدم استفزازه بأن يُبقي العرب على ضعفهم، وعدم قدرتهم على الدفاع عن أنفسهم.

وقد عبَّر آدمز عن "**حزنه**" بأن "**على الأردن الآن أن ينتظر بخوف الضربة الإسرائيلية القادمة، التي يمكن أن تطلق رصاصة الرحمة على النظام الحالي، وتمسح الأردن أخيراً من الخارطة، بينما يقف أصدقاء الأردن عاجزين بشكل واضح عن منع ذلك**". ورأى بأن الأردنيين ربما يكونون معذورين في أن يظنوا أن نية "إسرائيل" الحقيقية ليست فقط في التخلص من الفدائيين، ولكن في إسقاط النظام الهاشمي، خصوصاً وأن الهجمات الإسرائيلية الكثيفة لإزالة ما يشتبه أنه قواعد للفدائيين شرقي الأردن، لا ينسجم مع ادعاءات "إسرائيل" الواثقة بأنها وضعت العمل الفدائي في الضفة الغربية تحت السيطرة. وقال إنه إذا كان هذا هو نية "إسرائيل" الحقيقية، فيجب أن يعلموا بما لا يدع مجالاً للشك أنهم يحدثون ضرراً عظيماً بأصدقائهم الغربيين. ولذلك نصح بإرسال رسالة عاجلة من أعلى المستويات في بريطانيا إلى "إسرائيل" لحثها على عدم القيام بهجوم آخر.[٧٥] ويبدو أن برقية آدمز هذه قد لقيت اهتماماً خاصاً في الخارجية في لندن وفي سفارتيها في واشنطن وتل أبيب، كما سنلاحظ في الصفحات التالية عند الحديث عن الانعكاسات الدولية للمعركة.

وفي ٢ نيسان/ أبريل ١٩٦٨ أرسل آدمز رسالة إلى الخارجية البريطانية خصصها للحديث عن الفدائيين وعلاقاتهم بنظام الحكم في الأردن، وانعكاسات معركة الكرامة على تلك العلاقة (وقد أشرنا إلى مقاطع منها عندما تحدثنا عن انعكاسات المعركة على الفدائيين). وقال آدمز إن سلوك مجموعات الفدائيين تجاه الملك حسين وحكومته يتّسم بالتأرجح. فبعضهم يقول إنهم يدعمون الملك، غير أن دعمهم مشوب بالتشاؤم من قدرته على تحقيق تسوية عادلة للقضية الفلسطينية، وآخرون يقولون إنه لا شأن للملك بهم، وآخرون يقولون إنه ليس لديهم مشكلة معه طالما أنه لا يتدخل بشأنهم، وما يزال آخرون يعدُّونه عدواً لهم. ويرى آدمز أنه من المؤكد إذا لم يكن هناك حلٌّ سياسي وشيك للصراع العربي الإسرائيلي، أو أن نقاط هذا الحل غير مقبولة للفدائيين، فإنهم—بشكل عام—سوف يتحولون ضدّ الملك وضد الحكم الأردني الحالي. وفي هذه الأثناء—حسب رأي آدمز—فإن كل هجوم إسرائيلي ضدّ الأردن، يمكن أن يزيد من قوة الفدائيين، ويقوِّي نقدهم لسياسات الملك بأنها غير كافية.[٧٦]

---

[٧٤] Ibid.

[٧٥] Ibid. Emphasis added.

[٧٦] Despatch, The Fedayeen, Adams to F.O., Confidential, 2/4/1968, FCO 17/222.

وأشار آدمز إلى أنه لا يوجد صراع علني بين الفدائيين والسلطات، حيث إن السلطات حريصة على تجنب المواجهة. وقال إن مدير الأمن العام بذل جهداً عظيماً لطمأنتنا بأن الوضع تحت سيطرة قواته تماماً، بالرغم من أن ذلك يمكن أن يكذَّب إلى حدّ ما بناء على المعلومات التي تتلقاها السفارة... وأضاف آدمز إن المخابرات الأردنية العامة "منشغلة بنشاط في اختراق أبرز التنظيمات الفدائية، بهدف تمزيقها إذا أصبحت خطيرة". لكن آدمز شكَّك في استعداد القوات النظامية لقتال الفدائيين إذا ما وصلوا إلى تلك الدرجة. وأكد آدمز أن الملك سيسعى في مؤتمر القمة العربي إلى تخفيف العبء عن الأردن، من خلال الوصول إلى اتفاقية تجعل عمليات الفدائيين منسقةً، وتحت شكل من أشكال التوجيه أو التحكم، وبحيث تشارك في مسؤوليته مصر وسورية والدول العربية الأخرى. وقال آدمز إنه لا توجد دولة يمكن أن تتسامح بوجود قوة عسكرية موازية تعمل على أرضها، دون أن تكون تحت سيطرتها. لكنه أضاف أنه مهما كان الملك حسين يتمنى أن يبقيهم تحت سيطرة قواته العسكرية "فإنني أشك أنه يعتقد أنه يمكن أن يفعل ذلك" على حدّ تعبيره؛ منوهاً أن وضع الملك أضعف بكثير من وضعه عندما قام بإجراءاته ضدّ منظمة التحرير الفلسطينية في ربيع ١٩٦٦. ولم يتردد آدمز في أن يختم رسالته بجملة تحريضية متشائمة قائلاً "الخروج على القانون، والعنف، وعدم احترام السلطة يظهر أنها كلها في تزايد، **وهي بالطبع على بعد خطوة بسيطة للانتقال من الدفاع عن العنف ضدّ إسرائيل إلى استخدام الوسائل نفسها لتحقيق تغييرات محلية هنا**".[٧٧]

ويظهر أن تقييم آدمز للوضع وللعلاقة بين الفدائيين والحكم في الأردن لم يتغيَّر في الأشهر التالية، بل ازداد حسماً ووضوحاً. ففي ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٨ كتب تقريراً حول الفدائيين في الأردن جاء فيه: "في مقابل عدم قدرة الفدائيين على تشكيل خطر على دولة إسرائيل، فإن الفدائيين قادرون على تحقيق درجة كبيرة من التأثير على الوضع في الأردن...". وأضاف آدمز: "في الحقيقة، فإن الفدائيين ربما يُشكِّلون الآن الخطر الأكبر على بقاء النظام الهاشمي في الأردن. من المرجَّح أنهم سيتسامحون مع حكم الملك حسين، ما دام يسمح لهم بقدر من الحرية في استخدام الأردن كقاعدة لعملياتهم. إن إصرارهم المعلن على حلّ القضية الفلسطينية عبر الوسائل الثورية العسكرية، يمكن أن يُورّط الأردن في اشتباك مباشر مع إسرائيل، مما قد يؤدي إلى زوال الأردن كدولة وكنظام هاشمي".[٧٨]

وناقش آدمز إمكانية ضرب العمل الفدائي في الأردن، فقال إن الجيش والشرطة ربما ما زالا قادرين على تحقيق هزيمة ساحقة بالفدائيين، ولكن لا يُمكن ضمان ولائهم الكامل للهاشميين. وأضاف إن مثل

---

[٧٧] Ibid. Emphasis added.

[٧٨] Despatch, The Fedayeen, Adams to F.O., Confidential, 2/4/1968, FCO 17/222.

هذا العمل لن يكون أمراً مقبولاً على المستوى المحلي والعربي، إلاَّ إذا استطاعت الأردن ومصر الوصول إلى تسوية عادلة ومُشرِّفة مع الإسرائيليين. وحسب رأي آدمز فإن مثل هذا السلام ما زال بعيد المنال، بالرغم من أن الملك حسين ونظام حكمه ظلاَّ ملتزمين بالبحث عنه. وختم قائلاً "لقد أظهر الملك قدرة عظيمة على البقاء طوال السنين، ولكنه ليس ساحراً، وإن الفشل في تحقيق تقدم نحو تسوية سياسية، سوف يجعله في وضع لا يمكن الدفاع عنه".[٧٩]

وعلى أي حال، فبعد سنتين بالضبط من كتابة تقرير آدمز هذا، كان الملك قد أحكم سيطرته على الوضع في الأردن، بعد أن وجه ضربة قوية للعمل الفدائي. لكن الملك احتاج إلى الانتظار ٢٤ سنة أخرى للوصول إلى تسوية سلمية مع الكيان الإسرائيلي في سنة ١٩٩٤.

ج. الانعكاسات على الكيان الإسرائيلي:

لاحظنا أن الهجوم الإسرائيلي على الكرامة قد حقق نتائج معاكسة تماماً للأهداف التي وضعها، بغض النظر عن الجدال حول حجم الإصابات والخسائر في الطرفين. وقد علَّق الملحق العسكري في تل أبيب بأنه بالرغم من التقييمات المتألقة للهجوم في الصحافة والراديو الإسرائيلي، فإنها لم تحقق ما كانوا يأملونه. وقال إن كلمات نائب مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية الشجاعة، أنهم يعلمون أنها ستكون عملية صعبة ومكلّفة وأنهم مستعدون لذلك، قد غطَّت درجةً من سوء التقدير. وأضاف إن الإسرائيليين "لسبب غير قابل للتعليل" قد ظنوا أن مقاومة الأردنيين ستكون رمزية، وقال إنه لا يستطيع أن يتخيَّل ما الذي جعل الإسرائيليين يفكرون وفق هذه الأسس. وقال إن الأمور سارت على غير ما أراده الإسرائيليون، وأن انسحاب قواتهم تأخّر أربعة ساعات ونصف، وأن خسائرهم كانت كبيرة، وأنهم لم يتوقعوا أن يدفعوا هذا الثمن الغالي.[٨٠]

وقد علق أحد كبار مسؤولي الخارجية الأمريكية على الهجوم الإسرائيلي بأنه يشعر أن "**الإسرائيليين يعيشون حالة من الحيرة والشك**". وأن هناك تساؤلات واسعة في "إسرائيل" حول مغزى هجوم ٢١ آذار/ مارس ومدى نجاحه. وقال إنه مقتنع أن الإسرائيليين سيردُّون بشكل ما على هجمات فتح، ولكنه غير متأكد بالمرّة من نوع الرد الذي سيختارونه. وحسب رأيه، ففي أسوء الأحوال ربما يجتازون الحدود ويسيطرون على منطقة في شرقي الأردن، وفي أحسنها ربما يلجأون إلى الأمم المتحدة. لكن المسئول رجح الردّ العسكري.[٨١]

---

[٧٩] Ibid.

[٨٠] Report of the British Defence Attache in Tel Aviv.

[٨١] Tel. no. 1082, P. Dean, Washington to F.O., Immediate, Confidential, 29/3/1968, FCO 17/635. Emphasis added.

وقد لاحظ هادو، السفير البريطاني في تل أبيب، أن هجوم الكرامة كان نموذجاً لضعف التنسيق بين مختلف أجزاء الآلة الحكومية الإسرائيلية، وعلى الدور المسيطر لوزارة الدفاع في مثل هذه الحالة. فالعملية تمَّت بالرغم من أن هناك دلائل أكيدة على أن السلطات الأردنية تأخذ الآن مسألة فتح بشكل جدي، وأن هناك إشاعات من الإسرائيليين أنفسهم أن الملك حسين ينوي إقالة التلهوني، ثم إنهم قاموا بالعملية في يوم وصول مبعوث الأمم المتحدة جارنج إلى القدس...[٨٢]

وتحدَّث هادو مع أبا إيبان، وزير الخارجية الإسرائيلي، بعد ثلاثة أيام من الهجوم مبيناً له الخسائر السياسية التي لحقت بالإسرائيليين من ارتفاع شعبية العمل الفدائي، ومن أن الحكومة الأردنية لن تكون قادرة بالمرة على السيطرة على العمل الفدائي، ومن أن "الرأي المعتدل" في الأردن تلقى ضربة قاسية، ومن أن المؤتمر العربي القادم سيكون أكثر تشدداً من مؤتمر الخرطوم، ومن إلحاق الضرر بمهمة جارنج وخسارة الكثير من التعاطف الدولي مع "إسرائيل"، وحتى تلقِّي "إسرائيل" اللوم من أصدقائها في مجلس الأمن. وقد ردَّ أبا إيبان بشكل فلسفي قائلاً إنه في حالة التعامل مع العرب، فإن الأفضل دائماً هو ترك الغبار ينجلي قليلاً قبل إعطاء تقييم حول النتائج الحقيقية للوضع.[٨٣] ويظهر أن إيبان لم يكن لديه ما يجادل به السفير البريطاني، فلجأ إلى التهرُّب بإجابة ديبلوماسية، تحاول التمويه عن النتائج المرَّة للمعركة.

ويبدو أن الإسرائيليين حاولوا تبرير النتائج "غير المرضية" للمعركة بانتقاد القيادات السياسية التي ذكروا أنها وضعت قيوداً في تخطيط العملية وتنفيذها، وأنها تعمدَّت التخلي عن عنصر المفاجأة، وأنها حصرت القوات الإسرائيلية بعملية محدودة، ووفق قيود صارمة بألاَّ تشتبك مع القوات الأردنية إلا دفاعاً عن النفس، وتجنب الإضرار بحياة المدنيين وممتلكاتهم.[٨٤] وهي تبريرات يصعب قبولها في ضوء قيام إسرائيل بنحو ٤٥٠ غارة طيران على المواقع الأردنية، والتدمير المنهجي لقرية الكرامة، وقتل عشرات المدنيين.

وحسب هادو فإن المعركة وما حملته من نتائج عززت تيار "الصقور" في الأوساط الإسرائيلية، بينما تضاءل تأثير "الحمائم" الذين يؤيدون أخذ الرأي العام الدولي بالاعتبار. وقال هادو إن الإسرائيليين—على الأغلب—سوف يفضلون انتظار حدوث عملية فدائية كبيرة تثير غضبهم، وذلك للقيام بهجوم واسع على قواعد الفدائيين شرقي الأردن. وأضاف إن هذا يناسب القادة العسكريين الإسرائيليين، الذين

---

[٨٢] Tel. no. 377, Hadow to F.O., Immediate, Confidential, 21/3/1968, FCO 17/633.

[٨٣] Tel. no. 391, Hadow to F.O., Confidential, 24/3/1968, FCO 17/633.

[٨٤] Hadow Report on the Karama Raid.

يشعرون أنهم حرموا من النجاح الكامل في الكرامة بسبب السياسيين. وأنهم في المرة القادمة سوف يُصرّون على وجوب تحييد مواقع الجيش الأردني على التلال شرقي الوادي، "**وعلى الإبقاء على احتلال كل المنطقة**، بما يكفي لتطهيرها تماماً من الإرهابيين"، وأنه إذا ما كان ضرورياً "**فإنهم لن يعجزوا عن استكمال الطريق إلى نهايته بالذهاب إلى عمان**"[٨٥] على حدّ تعبيرهم. وهذا يدعم تخوّفات الحكومة الأردنية—التي سبقت الإشارة إليها—من احتمالات هجوم إسرائيلي كبير يكون احتلال أجزاء من الأردن بعضاً من أهدافه. وربما أكَّدت هذه المخاوف برقية أرسلتها السفارة البريطانية في تل أبيب في ٢٧ آذار/ مارس ١٩٦٨ إلى الخارجية البريطانية تقول فيها إن أحد جوانب التفكير الإسرائيلية أنه إذا كان الملك حسين لا يستطيع تنفيذ وقف إطلاق النار في وادي الأردن (وهي منطقة يُذكر أنها لم تعد تحت سيطرته، كما تقول البرقية) فإن "إسرائيل" ربما تعامل هذه المنطقة باعتبارها بلداً معادياً منفصلاً، ليس لها معه اتفاقية وقف إطلاق نار.[٨٦]

ويتحدث هادو عن موقف الإسرائيليين من الملك حسين، ويقول إن ما هو واضح بالتأكيد أن الإسرائيليين سيقومون بكل ما يستطيعون لمنع الفدائيين من التفوق عليهم، "وإذا لم يستطيع الملك حسين القيام بما يعدُّونه واجبه في الظروف الحالية، فإنهم لن يتركوه وحده. إنه ذو قيمة بالنسبة لهم فقط بالدرجة التي يستطيع بها حفظ السلام على الحدود، وما إذا كان—على المدى البعيد—جاهزاً للتفاوض معهم لتحقيق تسوية نهائية. وإذا ما اتخذ—لأي سبب كان—موقفاً ضدّ صنع السلام، فإنه يصبح قابلاً لأن يستغنى عنه أكثر من أيِّ وقت مضى".[٨٧] وهذا كلام يشير إلى مدى الغرور والعجرفة الإسرائيلية في التعامل حتى مع شركاء السلام المحتملين. بل إن هادو يذكر أن هناك مدرسة فكرية متنامية في "إسرائيل" تقول إنه "كلما كان ذهابه [أي الملك حسين] أسرع كلما كان ذلك أفضل. **وهي مدرسة ترى أن سقوط النظام الهاشمي سيصبُّ في النهاية في المصلحة الإسرائيلية**. لأنه—حسب رأيها—إذا ما سقط هذا النظام، وحلّ مكانه نظامٌ موالٍ للسوفييت فإن الغرب سيضطر لتقديم دعمه بالإجماع إلى إسرائيل، وستتمكن إسرائيل—بالتالي—من الانتقام دون انتظار لما سيقوله الأمريكان وأصدقاؤها الآخرون. كما أن العرب في الأراضي المحتلة سوف يتحققون بشكل نهائي أن عليهم إنقاذ أنفسهم، وبالتالي فإن حلاً محلياً للقضية الفلسطينية يمكن تحقيقه. ثم إن وجود نظام موالٍ للسوفييت في عمَّان سيجعل الغرب—وخصوصاً بريطانيا—مترددين في إعطاء دعم إضافي للسعودية ودول الخليج".

---

[٨٥] Ibid. Emphasis added.

[٨٦] Tel. no. 425, Hadow to F.O., 27/3/1968, FCO 17/635.

[٨٧] Hadow Report on the Karama Raid.

ويعلِّق هادو أن هذه الطريقة في التفكير خطيرة جدّاً، ولكنه يخشى أنه لا يجب استبعاد مثل هذا الاحتمال مع المزاج الحالي في "إسرائيل".[٨٨]

وقد لاحظ هادو، عندما استعرض الأداء الإسرائيلي لسنة ١٩٦٨، أن "إسرائيل" وجدت نفسها منقادة إلى وضع دفاعي أكثر فأكثر، وأن كونها قوة احتلال قد جلب عليها مصاعب كبيرة، وأن حركات المقاومة تمكنت من إبقاء الحدود الأردنية مشتعلة باستمرار. ونستطيع من خلال الأرقام التي قدَّمها هادو عن الحوادث أو العمليات عبر الحدود الأردنية أن نلحظ أن معدلها كان في الأشهر الثلاث الأولى من ١٩٦٨ هو ٢٩ عملية شهرياً، وقد ارتفع معدلها في الأشهر التسع التالية إلى ٤٩,٢ عملية شهرياً (مع ملاحظة أن بعض هذه الحوادث كان يقوم بها الطرف الإسرائيلي أحياناً). وقال هادو إن كل ما كان الإسرائيليون يستطيعون عمله هو ردّ الفعل دون ضمان النتيجة، كما حدث في الهجوم على الكرامة وغيرها...، "**ويبدو أن كل ما فعلوه كان هو زيادة الدعم العربي للإرهابيين [الفدائيين]، وإضعاف قدرة الحكومات العربية المجاورة في السيطرة على أنشطتهم**".[٨٩]

ولكن، حسب تقرير هادو، فإن السياحة والاقتصاد والهجرة الإسرائيلية لم تتأثر سلباً سنة ١٩٦٨، فقد وصل السياح إلى رقم قياسي هو نصف مليون سائح، ووصلت نسبة النمو الاقتصادي إلى ١٢%، وزاد عدد المهاجرين اليهود من ١٦ ألفاً سنة ١٩٦٧ إلى ٣١ ألفاً سنة ١٩٦٨، مع قدوم نوعيات مهاجرين جدد أرقى علمياً واجتماعياً، كما قويت العلاقة مع يهود العالم بشكل عظيم.[٩٠] ولعل ذلك يعود إلى حالة النشوة والانتصار التي تبعت حرب ١٩٦٧، والتي ربما قضت على القلق على مستقبل الكيان الإسرائيلي بعد أن تمّ له احتلال باقي فلسطين وسيناء والجولان، وبعدما تكشفت حقيقة الضعف العربي.

د. الانعكاسات الدولية:

من الواضح أن الهجوم الإسرائيلي قد تسبب بخسارة سياسية إسرائيلية على المستوى الدولي. وفي الوثائق البريطانية هناك نحو عشرين وثيقة في ملف FCO17/633 حول مناقشات مجلس الأمن الدولي لإصدار قرار بشأن الهجوم الإسرائيلي على الكرامة. وتتضمن مقترحات الدول المختلفة، ومسودات قراراتها. وقد انتهت المداولات بصدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٨ في ٢٤ آذار/ مارس ١٩٦٨ وفي الوثائق صورة أصلية عن القرار الذي جاء فيه أن مجلس الأمن:

---

[٨٨] Ibid.

[٨٩] Israel: Annual Review for 1968, by Hadow to Stewart, F.O., Confidential, 15/1/1969, FCO 17/897. Emphasis added.

[٩٠] Ibid.

١. يأسف لوقوع خسائر في الأرواح وللأضرار الكبيرة في الممتلكات.

٢. يدين العمل العسكري الذي قامت به "إسرائيل"، في خرق فاضح لميثاق الأمم المتحدة وقرارات وقف إطلاق النار.

٣. يأسف لكل حوادث خرق وقف إطلاق النار، ويعلن أن مثل هذه العمليات العسكرية الانتقامية، وغيرها من خروق خطيرة لوقف إطلاق النار لا يمكن التسامح معها. وسيكون على مجلس الأمن أن ينظر في اتخاذ خطوات أخرى أكثر فعالية، حسب الميثاق حتى يضمن عدم تكرار هذه الأحداث.[٩١]

ولا شك أن هذا يُعدُّ انتصاراً للأردن على الساحة الدولية، وهو كسب ضمني بشكل أو بآخر للعمل الفدائي الفلسطيني لأن الإدانة—على الأقل—توجهت إلى الطرف الإسرائيلي وليس إليه، كما يحمل تهديداً ضمنياً لـ"إسرائيل" بعقوبات في المرة القادمة. ويرى هادو أن هذا القرار لا يتوقع أن يكبح الإسرائيليين... وأن الإسرائيليين يعتقدون أن هذا القرار سوف يشجع الفدائيين ليكونوا أكثر عنفاً، ويعطيهم درجة من الاحترام كمحاربين من أجل الحرية، كما سيرى الفدائيون فيه عاملاً كابحاً لهجوم إسرائيلي مضاد.[٩٢]

أما بريطانيا—وهي القوة الدولية التي نستقرئ وثائقها—فقد تنازع سفيراها في عمَّان آدمز وفي تل أبيب هادو في الشدِّ باتجاهين مختلفين، متأثريْن—على ما يبدو—بما يرونه ويحسونه في إطار اتصالاتهم وعلاقاتهم ومعيشتهم في كلا البلدين. غير أن الخارجية البريطانية "ضبطت إيقاعهما" في حدود سياستها العامة. فقد أبدى السفير البريطاني في عمّان انزعاجه من احتمال شنّ "إسرائيل" هجوماً آخر قد يؤدي إلى إسقاط النظام الهاشمي، وعدّ ذلك إضراراً كبيراً بأصدقاء "إسرائيل" الغربيين. ولذلك، نصح بإرسال رسالة عاجلة من أعلى المستويات (في بريطانيا) تحذِّر "إسرائيل" من شنِّ هجوم آخر على الأردن، وأن هذا سوف يضرُّ بشكل خطير المصالح الغربية في المنطقة. وأنه بينما قد يرى الإسرائيليون أن هذا سوف يخدم مصالحهم الخاصة على المدى القصير، فإنه في رأي حكومة صاحبة الجلالة سيؤدي في النهاية إلى إزالة أي احتمال لتحقيق السلام في المستقبل المنظور. وهذا سيسبب صراعاً أوسع يتبع اختفاء الأردن عن الخارطة، وسيؤثر بشكل خطير على مصالح بريطانيا وحلفائها الغربيين، ليس في الأردن وحدها وإنما في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي.[٩٣]

---

[٩١] United Nations, Security Council, S/RES/248 (1968), 24/3/1968, found in FCO 17/633. See also, Tel. no. 780, British representative to the United Nation to F.O., 24/3/1968, FCO 17/633.

[٩٢] Hadow Report on the Karama Raid.

[٩٣] Tel. no. 271, Adams to F.O., Immediate, Secret, 28/3/1968, FCO 17/635.

وقد علق هادو على برقية آدمز قائلاً إنه يوافق تماماً على وجوب الاستمرار بالضغط على الإسرائيليين، ولكنه لا يظن أن رسالة على مستوى عالٍ وفق الخطوط المقترحة يمكن أن تؤدي إلى نجاحٍ يذكر. وقال إن الإسرائيليين يعرفون موقفنا تماماً من الحكم الهاشمي في الأردن، ولكن عندما تأتي اللحظة الحاسمة، فإنهم سينظرون إلى مصالحهم الأمنية الخاصة أولاً. وقال هادو إنه على ما يبدو فإن "هناك أحد حلّين:

أ. أن يعالج الأردنيون موضوع فتح، ويحفظوا هدوء الحدود.

ب. أن يُخبَر الإسرائيليون بحزم أنهم يجب أن يتحملوا عمليات فتح المدعومة من الجيش الأردني، لأنهم إن لم يفعلوا وقاموا باتخاذ عملي بأنفسهم، فإننا والأمريكان سنتخذ إجراءات عقابية ضدهم."

وأضاف معلقاً على الخيار الثاني (ب) إنه "لو كنا سنفعل ذلك، فلا يوجد ضمان أن الإسرائيليين في مزاجهم الحالي سيستجيبون". وقال بشكل ساخر متشائم "إن الإسرائيليين يشبهون العرب تماماً في قدرتهم على هدم البيت على رؤوسهم". ولذلك، لا يبقى في رأي هادو سوى الخيار الأول مع اعترافه بالمصاعب التي لا يكاد يمكن تذليلها في هذه المرحلة لما تتمتع به فتح من دعم شامل تقريباً في الأردن. وأضاف أنه يدرك أيضاً صعوبة إعطاء العرب نصيحة بغيضة "ربما تحولّهم ضدنا، خصوصاً إذا لم نستطع نحن والأمريكان إيجاد طريق ما نستطيع من خلاله توفير دعم فعال للملك حسين في أيّ عملية ضدّ فتح". ولذلك، اقترح هادو أن تقوم السلطات الأردنية بمحاولة علنية لتأكيد سيطرتها على وادي الأردن، وعلى فتح بشكل عام، لأن هذا سيعطي بريطانيا وأمريكاً سلاحاً يجادلون به الإسرائيليين لإعطاء الملك حسين فرصة، كما يمكنُّهما من التهديد باتخاذ إجراءات أشد.[٩٤]

وقد قام هادو—من جهته—بتقديم اقتراح آخر في نهاية تقريره عن معركة الكرامة ذكر فيه إنه "بالإضافة إلى الضغط الذي يجب أن نستمر نحن والأمريكان في القيام به هنا، فإن علينا أن ننصح الملك حسين بأقوى لغة محتملة بأن سياسته الحالية ستؤدي فقط إلى نهاية حكمه، وإلى احتلال عاصمته وأجزاء كبيرة مما بقي لديه من بلده".[٩٥]

وهكذا، وجدت الخارجية البريطانية نفسها أمام اقتراحين أحدهما يطالب بالضغط أكثر على "إسرائيل"، والآخر يطالب بتوجيه هذا الضغط إلى الأردن. وقد ردَّت الخارجية البريطانية على اقتراح سفيرها في عمّان آدمز بتأكيدها أن بقاء الحكم الهاشمي في الأردن يبقى أمراً مهماً لبريطانيا ولمصالح الغرب العامة. وقالت إنها تكلمت مع الإسرائيليين منذ فترة وجيزة جداً في لندن وتل أبيب على الخطوط

---

[٩٤] Tel. no. 439, Hadow to F.O., Secret, Priority, 29/3/1968, FCO 17/635.

[٩٥] Hadow Report on the Karama Raid.

نفسها التي اقترحها آدمز تقريباً. فقد جرى حديث مع أبا إيبان عند مروره بلندن في ٢٥ آذار/ مارس... ولذلك، لا ترى الخارجية ضرورة لرسالة على مستوى عالٍ إلى "إسرائيل".[٩٦]

وفي المقابل، أرسلت الخارجية رسالة إلى سفيرها في تل أبيب هادو في ٨ نيسان/ أبريل ١٩٦٨ رفضت فيها الحديث مع الملك حسين بالطريقة التي اقترحها. وقالت إنهم—في الخارجية—يعون تماماً الحاجة العاجلة لاتخاذ إجراءات فعالة لنزع فتيل التوتر من الوضع الحالي الخطير، و"يظهر أن ما نستطيع أن نقوم به بفعالية في هذا الشأن قليل جداً"؛ وإن الأمريكان فقط يستطيعون القيام بعمل يمكن أن يوقف الإسرائيليين مؤقتاً. وقالت إن الملك حسين يعلم جيداً مخاطر السماح للفدائيين، وإن الخارجية سوف تستمر في الإشارة إلى ذلك له عندما تسنح الفرصة. ولكن حريته في المناورة في هذه الأثناء محدودة جداً، بحيث أنه "من المشكوك به أنه يستطيع، حتى إذا رغب، أن يلقي بالاً لنصيحتنا". وبالإضافة إلى ذلك، تشير الرسالة إلى أنَّ ما يظهر من ضعف البريطانيين على فهم مصاعبه، ربما يقوده بشكل أكثر قوة إلى أحضان من أسمتهم بالمتطرفين.[٩٧]

ولذلك، ترى الخارجية البريطانية أن هدفها الأولي في العلاقة مع الأردن، في هذا الوضع، هو إعطاء الملك حسين الوقت حتى ينجح في تحقيق بعض القدرة على المناورة على الصعيدين الديبلوماسي والداخلي، ومحاولة إقناع الإسرائيليين أن هذا يبقى هو الأفضل لمصالحهم على المدى البعيد، وأنه لا يمكن للملك حسين كبح الفدائيين دون بعض التنازلات من الجانب الإسرائيلي. كما وجهت الخارجية سفيرها بمحاولة إقناع الإسرائيليين بعدم التصرف تجاه الأردن وكأن الأمر يحدث في فراغ لا يتأثر بالتداعيات والانعكاسات الدولية؛ وبأن سقوط الملك ربما يتسبب في بدء سلسلة من ردّات الفعل التي ستؤدي إلى التأجيل غير المحدود لأية آمال في تحقيق حياة سلمية دائمة وآمنة، وهو ما يجب أن يكون هدف "إسرائيل" على المدى البعيد. وطلبت الخارجية من سفيرها أن يستمر في الإلحاح على آرائها، والتشديد على العزلة الدولية التي ستجد "إسرائيل" نفسها فيها، إذا ما قامت بهجمات جديدة متعمدة على الأردن.[٩٨]

أما ردّ الفعل الأمريكي على معركة الكرامة، فلا يختلف كثيراً عن الموقف البريطاني، إذ نقلت الوثائق البريطانية تصريحاً لناطق باسم الخارجية الأمريكية في يوم ٢١ آذار/ مارس ١٩٦٨ قال فيه: "إن مزيداً من العنف لا يمكن أن يجلب سلاماً مستقراً ودائماً في الشرق الأوسط. وإن العمليات

---

[٩٦] Tel. no. 461, F.O. to Amman (Adams), Confidential, 29/3/1968, FCO 17/635.

[٩٧] Letter, T.F. Brenchley (F.O.) to Hadow, Confidential, 8/4/1968, FCO 17/633.

[٩٨] Ibid.

العسكرية الإسرائيلية اليوم ضدّ مناطق أردنية، ردّاً على عمليات إرهابية، تلحق الضرر بالآمال بتحقيق تسوية حول القضايا الأصلية". وأكدّ على أن الخلافات العربية الإسرائيلية يجب أن تُحلَّ من خلال جهود الأمم المتحدة، وليس من خلال استخدام القوة.[٩٩]

ويبدو أن وضع السفير الأمريكي في عمَّان سايمس Symmes كان أصعب من وضع زميله السفير البريطاني، إذ أنه—حسب تعبير آدمز—كان يشعر أنه مكبوح بشأن الضغط على الخارجية الأمريكية لتقديم دعمٍ أفضل للأردن. والسبب الأول لذلك هو المصاعب السياسية الداخلية التي تواجه الحكومة الأمريكية في رغبتهما في تحقيق توازن بين دعمهما للأردن وبين التزامهما تجاه "إسرائيل". أما السبب الثاني فهو أن السفير الأمريكي يعتقد أن بياناته ورسائله العاجلة خلال الأشهر القليلة الماضية، لتحصيل دعم الإدارة الحالي المحدود للأردن، قد استنفذ بشكل كبير تأثيره داخل الحكومة الأمريكية. ويرى السفير الأمريكي أن حكومته ربما تميل إلى التقليل من قيمة تقاريره أو حذفها، على أساس أنها مجرد استغاثات كاذبة.[١٠٠]

وقد حاول أحد كبار مسؤولي الخارجية الأمريكية باتل شرح رؤية حكومته، فقال إن الأمريكان قد ضغطوا على الإسرائيليين بقوة قبل ٢١ آذار/ مارس وبعدها، ولم ينجحوا في إقناعهم بقبول مراقبي الأمم المتحدة، أو بأن يكونوا أكثر تجاوباً للدخول في مفاوضات من خلال جارنج. وأوضح باتل أنه مقتنع أن الإسرائيليين سوف يردُّون بشكل ما على هجمات فتح...، ولكنه رفض نظرية أن الإسرائيليين يعملون بنشاط لإسقاط النظام الهاشمي...، وإن كان يظن أنه خلال الأسابيع الماضية فإن الإسرائيليين يبدو أنهم أخذوا يعطون اهتماماً متضائلاً في المحافظة على وضع الملك. وقال باتل إن الإدارة الأمريكية تدرس بشكل عاجل ما الذي يمكن فعله بشأن الوضع الحالي، وأنهم يعملون على صياغة مسودة لرسالة عالية المستوى إلى الإسرائيليين، يوجهها الرئيس الأمريكي أو أحد شخصيات حكومته، بحيث تكون مصمَّمة لحثِّ الإسرائيليين على عدم اتخاذ إجراء عسكري آخر. وأن مضمون الرسالة قد يتضمن تعبيراً عن قلق الحكومة الأمريكية الشديد من الوضع الحالي، وشكِّها بأن نموذج الهجمات الفدائية ونموذج الانتقام منها سوف يحقِّقُ أيَّ شيء بنَّاء، وأن هجوم ٢١ آذار/ مارس لم يَحلُّ شيئاً.[١٠١]

ويظهر أن الموقف الأمريكي ركز على محاولة إنجاح مهمة مبعوث الأمم المتحدة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط جارنج. وقد كان واضحاً منذ البداية مدى صعوبتها. إذ نقل السفير البريطاني في

---

[٩٩] Tel. no. 973, B.E., Washington to F.O., Priority, 21/3/1968, FCO 17/633.

[١٠٠] Tel. no. 271, Adams to F.O., Immediate, Secret, 28/3/1968, FCO 17/635.

[١٠١] Tel. no. 1082, B.E., Washington to F.O., Immediate, Confidential, 29/3/1968, FCO 17/635.

الأردن أن الرأي العام هناك يرى أن جارنج نفسه يشعر منذ البداية أن مهمته تكاد تكون مستحيلة. وقال السفير البريطاني نقلاً عن السفير السويدي في عمّان (الذي هو صديق قديم ومقرَّب من جارنج) أن جارنج ذكر له أن هذا هو الوضع فعلاً.[١٠٢]

ومن الواضح أن الموقف السوفييتي—الذي لم نجد وثائق ذات بال حول ردود فعله—قد كان مؤيداً للموقف العربي ضدّ الهجوم الإسرائيلي على الكرامة. وقد حاول السوفييت تحميل بريطانيا والولايات المتحدة جانباً من مسؤولية الهجوم الإسرائيلي على الكرامة، بسبب مساعدتهما الاقتصادية والعسكرية لـ"إسرائيل". وقد علق السفير البريطاني في عمّان على ذلك بأن الأردن استخدم أسلحة بريطانية وأمريكية في صدّ الهجوم الإسرائيلي، وإن بريطانيا مستمرة في دعم الأردن اقتصادياً بشكل سخي، بينما لم يقدم الروس شيئاً، سوى إرسال بعثة اقتصادية لم تحقِّق حتى الآن أية نتائج.[١٠٣]

خاتمة:

ربما كان مجموع الخسائر في الأرواح والمعدات التي وقعت في الجانب الأردني والفلسطيني أكبر من تلك التي مُني بها الجانب الإسرائيلي. لكن خسائر الإسرائيليين كانت كبيرة نسبياً وأكثر بكثير مما توقعوه. غير أن ما هو أهم من ذلك بكثير هو أن نتائج الهجوم الإسرائيلي جاءت معاكسة تماماً لأهدافه من الناحية السياسية. فقد أوجد الصمود الفدائي والأردني في الكرامة، وما رافقه من تضحيات ونجاحات في منع الصهاينة من تحقيق أهدافهم، حالةً من الشعور بالانتصار واسترجاع الثقة بالنفس، خصوصاً بعد حالة الإحباط التي نتجت عن حرب ١٩٦٧. وهي حالة انعكست إيجاباً على العمل الفدائي الفلسطيني في الأردن، وعلى خط المقاومة بشكل عام.

لقد وضعت معركة الكرامة الإسرائيليين في حالة من الحيرة والشك، إذ إن هجماتهم على قواعد الفدائيين في الأردن تزيد من شعبية الفدائيين ونفوذهم، كما أن التوقف عن الهجمات الانتقامية يفسر على أنه ضعف إسرائيلي، ويعطي الفدائيين الفرصة لتقوية مراكزهم، وتنظيم صفوفهم، كما يغريهم بالقيام بمزيد من العمليات.

إن الوثائق البريطانية تقدّم لنا مادة غنية حول خلفيات معركة الكرامة وتطوراتها ونتائجها. وهي تضيف إضاءات جديدة إلى الموضوع. على أنها لا يجب أن تؤخذ حكماً أو مصدراً وحيداً للمعلومات، وإنما باعتبارها مصدراً مهماً في استكمال الصورة التي رسمتها المصادر الأخرى.

---

[١٠٢] Tel. no. 271, Adams to F.O., Immediate, Secret, 28/3/1968, FCO 17/635.

[١٠٣] Tel. no. 233, Adams to F.O., Immediate, Confidential, 22/3/1968, FCO 17/633.

ABSTRACT

This article attempts at shedding new lights on the Battle of Al-Karamah (21 March 1968), through studying related unpublished British Documents, which were unveiled in 1998. These documents are being kept in the Public Record Office (P.R.O.), now known as The National Archives, Kew Gardens, London.

It was clear that the rising Palestinian military struggle, from its bases in Jordan valley, drove the Israeli forces to launch a wide offensive against these bases, especially in Al-Karamah. However, the steadfastness and sacrifices of the Palestinian fighters and the Jordanian army resulted in, totally, the opposite for the Israelis. A relatively, big losses were incurred upon the Israeli forces. They are no longer invincible. The Israelis became in a puzzled and uncertain mood, as neither their retaliation nor their so called "self-restrained" would stop the flourishing of the Palestinian military struggle.

Al-Karamah Battle is considered as a turning point in the Palestinian contemporary history. It was a major step forward to the Palestinian resistance movement, which started, almost after this battle, its "golden period" in Jordan.